جامعة الانبار
كلية التربية للعلوم الإنسانية
القسم العلمي: التاريخ
المرحلة الدراسية: الرابعة
المادة: دويلات اسلامية

القسم / التاريخ دويلات اسلامية المرحلة / الرابعة

أولا : امارات المشرق الاسلامي:

تميز العصر العباسي الثاني (232 _656هـ) بظاهرة قيام الدول المستقلة، التي استقلت عن الدولة العباسية والتي كانت تنتظم فيها بلاد العالم الاسلامي جميعها في المشرق والمغرب ابان قوتها في العصر الاول ، وذلك بسبب ضعف خلفائها في هذا العصر واستبداد القادة الاتراك بمقاليد الامور ، وكثرة المشاكل الداخلية في جسد الخلافة من ثورات وتمردات عانت منها .

ترجع بدايات ظهور الدول المستقلة الى العصر العباسي الاول ، الا انها لم تصبح ظاهرة عامة الا في العصر العباسي الثاني ، ولم تقتصر جهة دون اخرى من العالم الاسلامي بل عمت المشرق والمغرب على حد سواء ، غير ان ظهورها في المغرب كان اسبق من ظهورها في المشرق ، فالإمارة الاموية والاغالبة والادارسة والخوارج وغيرهم انتشرت اماراتهم وتداخلت هناك ، ويعود السبب في ذلك الى ان المغرب الاسلامي كان مركز القوة للدولة الاموية التي اسقطتها الدولة العباسية ، بينما كان المشرق الاسلامي مركز المعارضة للحكم الاموي .

واذا كان المغرب الاسلامي قد سبق الى قيام الدول المستقلة فسرعان ما لحق به الشرق ، وذلك نتيجة ازدياد نفوذ القادة الاتراك وضعف الخلفاء العباسيين الى الدرجة التي مكنت الطامعين من القواد من انتزاع انحاء استقلوا بها عن دولة الخلافة

يعتقد بعض المؤرخين ان ظهور الدول المستقلة في المشرق الاسلامي يرجع الى استياء العناصر التي فقدت نفوذها في العصر العباسي الثاني كالعرب والفرس ، والواقع ان الدولة العباسية لم ترض العرب ولا الفرس ، فالعرب لم يقبلوا ان يزاحمهم الفرس ثم الاتراك في مكانتهم السياسية التي كانت لهم في العصر الاموي ، والفرس لم يرضوا عن الحد من نفوذهم الذي وصلوا اليه بل كانوا طامعين في المزيد انطلاقاً من الدور الذي اسهموا به في انجاح الثورة العباسية واعتقادهم بانهم اصحاب الفضل الاكبر في وصول العباسيين الى مقعد الخلافة ، كذلك لم يرض الفرس عن نكب الخلفاء لزعمائهم امثال ابي سلمة الخلال وابي مسلم الخراساني والبرامكة وال سهل ، لذلك سخط كل من العرب والفرس على العباسيين وفي وقت بداء يتزايد نفوذ القادة الاتراك ، واستعان الفرس والعرب بثورات ضد الخلافة كان نتيجتها الفشل لقوة الخلافة بالعصر الاول فلما ضعف موقف الخلفاء لم يستطيعوا السيطرة على اجزاء الدولة والتصدي لنزعة الاستقلالية التي تمخض عنها ظهور عديد من الدول المستقلة في المشرق الاسلامي ، وقد تميزت الدول التي استقلت في المشرق الاسلامي عن مثيلاتها في المغرب _ عدى الاغالبة _ بولائها للخلافة العباسية وحرصها على ان يعترف الخلفاء بشرعيتها وان تبارك قيامها على عكس ما قامت عليه الامارات المستقلة في المغرب العربي .

اذ كانت الخلافة قد احسنت صنعاً بالاعتراف بتلك الدول المستقلة فأنها قد استفادت بالمقابل من ذلك بسيطرتها الروحية وحرصت على ضمان الولاء واستمرار التبعية المذهبية والروحية لها ، وهو الذي مد في عمر الخلافة العباسية نفسها واخر كثيرا في سقوطها بعد ان دب فيها الضعف والوهن .

مظاهر ضعف الخلافة العباسية:

أولاً : نفوذ الاتراك وسيطرتهم على الخلفاء العباسيين

قبل الحديث عن الدول المستقلة في المشرق علينا ان نستشعر مدى ضعف الخلافة واستبداد الاتراك بأمور الخلافة والظروف التي ادت الى ذلك فقد كان العنصر التركي احد ابرز العناصر المتواجدة على ارض الخلافة ويعود اهمية العنصر التركي بعد العنصرين العربي والفارسي ، اذ كان موطنهم في بلاد ما وراء النهر وقد تدرج العنصر التركي في اواخر العهد الاموي في المجتمع وكان جل ظهورهم على شكل خدم اذ استقدم الامراء العرب منهم الكثير وادخلوهم في خدمتهم ، وكان ما يميزهم هو جمالهم وقوة بنيانهم وحسن تكوينهم وشجاعتهم ، ثم اخذ طريق العنصر التركي يزداد في بلاط الخلفاء العباسيين ، فاقتنى الخلفاء منهم الكثير وازدادوا في عهد المعتصم وكانوا يجلبون بعدة طرق اما بالشراء او الاسر او ما يهدى للخلفاء انفسهم، وقد وثق بهم الخليفة المعتصم(217–227 هـ) لأنه لم يكن يثق بالعنصر العربي ولا الفارسي بعد احداث الفتنة بين الامين والمأمون ، وأم الخليفة المعتصم كانت جارية تركية، وقد استقدم الكثير منهم حتى بلغ تعدادهم قرابة السبعين الفاً ، اذ جعل لهم معسكرات وازياء خاصة بهم وقد اشتهر البعض منهم فقربهم المعتصم نذكر منهم الافشين واشناس وايتاخ وقد قلدهم قيادة الجيوش واسقط العرب والفرس من ديوان الجند وقد شعر الجند الاتراك بقوتهم فأساءوا الى اهل بغداد فبنى المعتصم لهم سامراء واعدها مقراً له وللجند الاتراك سنة 221 هـ .

لم يستطيع الخلفاء بعد المعتصم من السيطرة على نفوذهم بل ازداد قادتهم قوة وسلطاناً واصبح القادة يتسلمون الولايات ويتحكمون في مقدرات الخلافة ، وعقب وفاة الخليفة الواثق 232 هـ كانت البداية لظهورهم الكبير وتحكمهم بمصير الخلفاء العباسيين .

اذ تجرء الاتراك على قتل الخلفاء العباسيين فقتل المتوكل 247 هـ وتدخلوا في تولية المنتصر ومن ثم عزله فتخلصوا منه ونصبوا المستعين 248 هـ ثم بايعوا المعتز 251 هـ

وكثرت ثورات الجنود الاتراك مطالبين بالأرزاق ثم حبسوا المعتز حتى توفي سنة 255 هـ واستمر القادة الاتراك في التدخل في شؤون الخلافة مما افقدها هيبتها واضعف شأنها .

ثانياً : الثورات المحلية التي هددت كيان الخلافة :

أ/ تمرد الزنج ب/ حركات القرامطة ج/ ثورات العلويين د/ حركات الخوارج و/ حركة بابك الخرمي وتمرد المازيار بن قارن

ثالثاً : تردي الاوضاع المالية :

من المؤكد ان للعوامل السابقة اثر كبير في انهيار الاوضاع المالية للخلافة العباسية ، فقد تؤثر الظروف الخارجية والداخلية التي عاشتها دار الخلافة على تردي الميزانية ، ونتيجة للظروف التالية فقد انهارت الخزينة لدى الخلفاء مما عجزوا عن توفير رواتب الجند والحاشية ، فرضخوا مضطرين الى بيع المناصب وتضمين الاقطاعات ، مما زاد الامر سوءا وانحط بذلك شأن الخلافة وذلك بسبب الظروف التالية :

أولاً : الحروب والفتن الداخلية :تفجر الحرب بين الاخوين الامين والمأمون قد كبد الدولة خسائر فادحة في الاموال والرجال بسبب النفقات الهائلة لكلا الطرفين في سبيل تجهيز الجيوش المقاتلة ، كما ادت الى تعطيل الطاقة الانتاجية في مختلف الميادين حيث انشغلت الايدي العاملة بحمل السلاح بدل العمل في انجاز المشاريع ، كما كان للحرب بين المعتز والمستعين الاثر نفسه في انهيار الاقتصاد للخلافة العباسية ، وكان لمحاربة حركات التمرد كالزنج والقرامطة والخوارج الاثر نفسه في تدمير بيت المال .

ثانياً: لم يعد ارسال الاموال الى خزانة الخلافة بشكل منتظم بسبب الحركات الانفصالية في كثير من المناطق وتعطل التجارة ادى ايضا الى خراب المدن، فكانت تلك المدن تمتص الاموال لصالحها ولصالح امرائها بدل من ارسالها الى دار الخلافة ، حتى

التي كانت على علاقات حسنة مع الخلفاء مما اثر سلباً على موقف الخلفاء انفسهم .

ثالثاً: المصروفات والهدايا والهبات التي كانت تصرف دون اكتراث من قبل بعض الخلفاء قد ادى الى خراب بيت المال فمثلاً الخليفة المعتصم قد اكثر من شراء الغلمان الاتراك وزوجهم وابتنى لهم الربط والدور والمعسكرات ، كما جعل لهم زياً خاصاً والبسهم انواع الديباج والمناطق المذهبة وابتنى لهم سامراء كل ذلك قد ادى الى افراغ بيت المال وجعل الخراب يدب سريعاً في دار الخلافة .

رابعاً: تعرض خزانة بيت المال للسلب والنهب والابتزاز من قبل الامراء والقادة الاتراك الذين تسلطوا على الخلفاء ،ففي عهد الخليفة المستعين اخذ شاهك الخادم والقائد اتامش ما في خزانة الدولة من اموال ولم يصرفوا منها شيء لرواتب الجند وعجز الخليفة عن منعهم ، كما كثر في عهدهم المصادرات فعمت الوزراء والكتاب والعمال وذلك دلالة واضحة على الفساد الذي نخر جسد الدولة العربية الاسلامية مما سهل في نشوء امارات تحكم الاقاليم ولم يكن في مقدور الخليفة العباسي فعل شيء سوى القبول بالأمر الواقع ودفع المنشور بتوليته الولاية .

الامارات المستقلة في المشرق الاسلامي:

بدأت بلاد فارس تتطور تطوراً اسلامياً بعد فتحها مباشرة اذ بدأت الصبغة الاسلامية والثقافة الاسلامية تنتشر فيها منذ اتمام حركة الفتح العربي ، وقد انتشرت الحركة الاسلامية فيها بدخول الموالي في الاسلام في الظهور معبرة عن نفسها بانضمامها الى اغلب الحركات المعارضة للدولة العربية الاسلامية .

ان بداية ظهور القومية الفارسية كان واضحاً في سنة 132 هـ لان الفرس كانوا من وراء الحركات التي ادت الى نجاح العباسيين في الوصول الى الخلافة ، وقد شهد العصر

العباسي الاول نفوذاً للموالي في مجالات الدولة المختلفة ، غير ان بلاد فارس بدأت تعبر نفسها تعبيراً قومياً بظهور الامارات الفارسية المستقلة فيما بعد

الامارة الطاهرية (205–259 هـ):

هي اولى الامارات الاسلامية في المشرق والتي خرجت في التبعية المباشرة للخلافة العباسية ، وامتدت حدودها في اوج قوتها من قومس الى جبال الهند ونهر السند ، علاوة على خراسان وسجستان وبلاد ما وراء النهر ، وكانت مرو مركز الامارة ثم انتقلت بعدها الى نيسابور .

أولاً : نسب الطاهريين:

تنسب الدولة الطاهرية الى مؤسسها طاهر بن الحسين، والطاهريون ينتمون الى اصل فارسي ، ونالوا مكانة مرموقة في خراسان قبل عصر الخليفة المأمون فقد تتابع ثلاثة منهم مصعب والحسين وطاهر على حكم ولاية بوشنج في منطقة هراة .

ادعى الطاهريون انهم من نسل رستم بطل الشاهنامة المعروفة ، وكان ادعائهم كادعاء غيرهم بأنهم تعود اصولهم الى الاسر الملكية الفارسية الحاكمة ، كما قيل ايضاً ان طاهر بن الحسين يتنسب الى قبيلة خزاعة العربية ، وكان جده زريق بن ماهان من موالي طلحة بن عبدالله الذي كان والياً على سجستان في عهد يزيد بن معاوية (60–64 هـ) ، وقد عمل زريق تحت راية ابي مسلم الخراساني ، وابنه مصعب كاتباً لداعية العباسيين سليمان بن كثير الخزاعي ، وبعد نجاح الثورة اسند ابو مسلم ولاية بوشنج الى مصعب ، وبعد وفاته تولى ابنه الحسين بوشنج ، وكان الحسين من سادات خراسان في زمن الخليفة هارون الرشيد (170–193 هـ) .

ثانياً : امراء الاسرة الطاهرية :

أ- طاهر بن الحسين (205–207 هـ):

ولد طاهر بن الحسين سنة 159 هـ في بوشنج وكان شديد الارتباط بها وكانت اكبر امانيه ان يخطب على منبر بوشنج لشدة تعلقه بها ، كان طاهر احد اكبر قادة المأمون ولعب دوراً بارزاً في احداث الفتنة التي وقت بين الاخوين الامين والمأمون ، اذ تقدم طاهر باتجاه بغداد واستولى على ما في طريقه من البلاد ، وحاصر بغداد والامين فيها ، وانتزعها منه وقام رجاله بقتل الخليفة في 6 صفر 198 هـ وارسل برأسه الى اخيه المأمون في مرو ، ولما حاصر بغداد اراد الامين ان يلتجئ الى هرثمة القائد العربي لجيش المأمون فاستقل قارباً ليعبر به نهر دجلة غير ان طاهر ورجاله علم بالأمر فكمن للخليفة وحرق عليه القارب مما جعل الأمين يسبح في النهر ثم اخرجه وشق ثيابه ثم قتله بعدها .

لقد كافأ المأمون طاهر بن الحسين بعد ان استقر في الخلافة ، واسند اليه ولاية الجزيرة وشرطة بغداد ، وسماه بذي اليمينين ، وكان طاهر يريد ان يوليه المأمون خراسان ، غير انه لم يوليه كي لا يستقل بها ، اذ لم يغيب عن ذهن المأمون ما يتمتع به طاهر من نفوذ في خراسان وما يملكه من طموح ، غير ان طاهر لم يقنع بولاية اقليم الجزيرة ، وابدى استياءه للخليفة ولم يزل به حتى اسند اليه ولاية خراسان سنة 205 هـ وجميع البلاد شرقي بغداد ، واستطاع طاهر من توطيد نفوذه في خراسان واتخذ من نيسابور حاضرة لدولته مؤسساً منها اول امارة شبه مستقلة عن الخلافة العباسية .

اعتزم طاهر بن الحسين الاستقلال نهائياً عن الخلافة العباسية ففي سنة 207 هـ اسقط اسم الخليفة المأمون من الخطبة ، بأن قام في يوم جمعة فخطب في الناس فلما بلغ الى ذكر الخليفة امسك عن الدعاء له وقال ((اللهم اصلح امة محمد بما اصلحت به اولياءك واكفاها مؤنة من بغى فيها)) كذلك امر طاهر برفع اسم المأمون عن السكة والخطبة وهما المظهران الوحيدان لسيادة الخلافة العباسية على أي ولاية وتبعيتها لها ، وتشير بعض المصادر الى ان طاهر قد قطع الخطبة ثلاث جمع للخليفة المأمون ، حتى

ان الخليفة قد عاتب وزيره احمد بن ابي خالد الذي اشار عليه بتوليه طاهر بن الحسين ولاية خراسان ، فكان جواب الوزير بقرب هلاك طاهر وقد حسب لذلك الامر حساب .

لم يلبث طاهر بن الحسين ان توفي فجأة في نفس الليلة التي منع فيها الخطبة للمأمون ، وتوفي بمرض الحمى وقيل ان خادم له كان قد اعده المأمون لقتله اذا ظهر منه خيانة فقضى عليه بالسم ، ورغم اختلاف الروايات في موت طاهر الا ان ما يهمنا هو ان طاهر توفي في جمادي الاول عام 207 هـ . وبعد وفاة طاهر وافق الخليفة على تولية ابنه طلحة بن طاهر بن الحسين ولاية ابيه على الرغم من استياء المأمون من طموحات الطاهريين انفسهم .

2- طلحة بن طاهر بن الحسين (207-213 هـ)

استعمل الخليفة المأمون عبدالله بن طاهر على خراسان ، فبعث اخاه طلحة واستقر عبدالله في الرقة وجعله المأمون والياً على جميع اعمال طاهر علاوة على ما بيده من اعمال الجزيرة ومصر وافريقية. تقلد طلحة ولاية خراسان من قبل المأمون وقد عجل الخليفة توليته لكي يسكت الشكوك التي حامت حوله بسبب موت طاهر بن الحسين المفاجئ ، غير ان التولية التي الت الى ال طاهر تدل على مدى نفوذهم في خراسان وقد اثبت طلحة كفاءة عالية في ادارة خراسان وفي حربة ضد الخوارج في سجستان فقد قضى على حمزة الخارجي سنة 213 هـ بعد حروب طويلة معه ، وقد واصل طلحة ولاءه للخليفة المأمون فكان يكاتب الخليفة بكل احوال خراسان ومؤكداً على اسم الخليفة في الخطبة والسكة والشارات ومرسلاً الجزية السنوية المفروضة عليه الى بيت المال في بغداد حتى وفاته سنة 213 هـ .

3-عبدالله بن طاهر بن الحسين .

كانت ولاية عبدالله بن طاهر على خراسان تعد بداية لمرحلة جديدة في تاريخ المشرق الاسلامي ، وذلك لأنه لم تسنح الفرصة لأحد من ال طاهر كما سنحت لعبدالله ويمكننا القول بأن امارة الطاهرين المستقلة نسبياً في خراسان تبدأ بعبدالله بن طاهر .

اذ كان عهده عهد قوة وازدهار للطاهرين مع شديد حرصه على ابقاء العلاقات طيبة مع العباسيين ، فقد جربهُ المأمون قبل ذلك في ولاية مصر وبلاد الشام وكان المأمون قد دس له من يمتحن طاعته للخليفة ، فكان موقفه يدل على كياسة واخلاص العباسيين .

حين توفي طلحة كان عبدالله بالدينور واعطى خراسان لأخيه علي بن طاهر نيابة عنه ، اذ كان مشغولاً بحرب بابك الخرمي ، غير ان الظروف قد استدعت مجيء عبدالله اليها فقد شن الخوارج هجوماً على قرية الحمراء التابعة لنيسابور ، وقتلوا كثيراً من اهلها وما ان بلغ خبر ذلك الى المأمون امر عبدالله بالذهاب الى خراسان لإدارة شؤونها واستمر عبدالله بقية ايام المأمون والمعتصم الذي ارسل له العهد واللواء ، ولما تولى الواثق بالغ في تكريمه ورفع مكانة عبدالله كثيراً واعطاه العديد من الامتيازات وهي :

1- ان حكم خراسان والاقاليم التابعة لها اصبح وراثياً لآل طاهر .

2-اصبح اسمهم يذكر في الخطبة ويطبع على السكة احياناً الى جانب اسم الخليفة العباسي .

3-امتد سلطانهم الى مناطق خارج حدود خراسان مثل الري وكرمان وبعض اقاليم قزوين وبلاد ما وراء النهر .

وقد اخلص عبدالله للعباسيين فقد قضى على حركات الخوارج والقضاء على تمرد المازيار بن قارن صاحب طبرستان ، وعلى الرغم من تردي العلاقة بينه وبين المعتصم في بادئ الامر ويعود سبب ذلك الخلاف الى ايام المأمون اذا كان عبدالله بن طاهر حاجباً للخليفة المأمون ومنع المعتصم من الدخول على الخليفة في وقت راحته وعاد

المعتصم مرة اخرى ومنعه مما ولد الحقد عليه ، وما ان علم المأمون حتى اصلح بينهما ، وعندما تولى المعتصم الخلافة اسند ولاية خراسان الى عبدالله مكرهاً ولجأ الى الحيل للقضاء عليه عن طريق احدى جواريه ، وقد كشف عبدالله ذلك ولم يعلن الانفصال او التمرد بل حافظ على تمسكه بولائه ، وكان احد اسباب تمسك المعتصم به هو نجاحه في القضاء على الحركات التي هددت الخلافة العباسية.واستمر الطاهريون في حكم خراسان فقد حرصوا على ابقاء العلاقات طيبة مع الخلفاء العباسيين لكسب ود ورضى الخليفة ، كي يحصلوا على الاعتراف بهم ، ومن وراء ذلك يكسبون ولاء الجماهير في اقاليمهم ، والمنفعة بذلك متبادلة متقابلة بين الخلافة والطاهرين ، فالخليفة يمنحهم الحق الشرعي في الحكم عن طريق اعترافه بهم ، والطاهريون يعلنون ولاءهم ويوطدون الامن ويقضون على القلاقل ويحمون الثغور الشرقية من خطر هجمات الترك ، وفي اخماد الثورات الداخلية التي قام بها العلويون والفرس بنواحي المشرق ، كما يرسلون ضريبة مالية سنوية الى دار الخلافة تعبيراً عن ولائهم .

4- طاهر بن عبدالله بن طاهر (230-248هـ)

توفي عبدالله بن طاهر سنة 230 هـ بنيسابور واستعمل الخليفة على اعماله كلها ابنه طاهر وقد عاصر طاهر الخليفة الواثق والخليفة المتوكل والمنتصر والمستعين ومع انه كان يمتلك كفاءة والده غير ان في عهده خرجت سجستان من ايدي الطاهرين بعد ان تمكن منها الصفاريون .

5- محمد بن طاهر (248-259هـ)

يعد محمد بن طاهر اخر حاكم للطاهرين في خراسان ، وكان ضعيف الرأي قليل الدراية بأمور السياسة ، مشغول بالشراب والطرب والانس ، حتى هاجت عليه بعض الاقاليم واشتد في عهده ساعد الصفارين والعلوين ، فتمكن يعقوب بن الليث الصفاري من الاستيلاء على سجستان بأكملها وزحف الى فارس ، واستولى على بوشنج ، كما خرجت

طبرستان من ايدي الطاهرين اذ سيطر عليها العلويين ولما ضعف امر محمد بن طاهر خرجت عليه العديد من المدن ولم يبقى معه الى اجزاء قليلة من خراسان مما شجع يعقوب الصفاري من الزحف الى خراسان واستولى عليها وقبض على محمد وعلى اهل بيته وبذلك انهى وجود الاسرة الطاهرية في خراسان سنة 259هـ .

أسباب سقوط الطاهريين في خراسان:

1- فساد النظام الاداري في الولايات التابعة للامارة الطاهرية ، مما ساعد على ضعف الامارة وخصوصا بعد رفض الامراء الطاهرين ادارة الاعمال في ولاياتهم واعطوها لعمال لهم وفضلوا البقاء في نيسابور العاصمة .

2-تعسف بعض العمال الطاهرين في فرض ضرائب باهضة على الناس مما اوجد موجة من الغضب والسخط على حكم الطاهرين .

3-انقسام البيت الطاهري على نفسه ساعد في تعجيل تصدع دولتهم وانهيارها

4- طموح بعض ولاة الاقاليم ومحاولة تشبههم بالطاهرين فالانفراد بحكم بعض الولايات التابعة للطاهرين بعد ان طردوا عمالهم من الخدمة .

بعض من مظاهر الحضارة في عصر الطاهرين :

1- النظام المالي والاداري :

من اهم رجال الادارة في العصر الطاهري ، الامير الذي يمثل رأس السلطة ورئيس الحرس الموكل بحراسة الامير والحاجب الذي يقوم بتنظيم الدخول والخروج من والى دار الامارة وصاحب ديوان الخراج ومسؤوليته الاشراف على شؤون المال والضرائب ، وصاحب ديوان البريد وكان له مقر في نيسابور وكان ذلك العامل مرتبط بدار الخلافة مباشرةً مما حدى بعمال البريد بنقل اخبار الطاهرين الى الخلافة العباسية بسرعة ولهم معرفة ودراية بالجهاز الاداري للطاهرين.

اما الجانب المالي فقد كان امير خراسان يقوم بجباية خراج المشرق كله بتفويض من الخليفة العباسي ، اذ يقوم بتنظيم وجمع الضرائب وارسالها الى دار الخلافة .

2- النظام الحربي :

أهتم الطاهريون بالجانب الحربي اذ تم تحصين جميع المدن في بلاد ما وراء النهر ، اذ كانت تعد تلك الجبهات مدن ثغرية اقيمت في وجه الاتراك لصدهم عن ديار الاسلام ، كما اعد الطاهريون الربط بخراسان وبلاد ما وراء النهر وتجهيزها بالمجاهدون والمتطوعة من كل مكان للجهاد ضد الاتراك الوثنيين.

3- الحياة الثقافية :

اهتم الامراء الطاهريون بالعلم وتعهدوا اهل العلم والدين والمعرفة ، حتى اصبحت نيسابور في عهدهم مركزاً من مراكز الثقافة الاسلامية الزاهرة .

ازدهر الادب العربي في ظل الطاهرين وكانت ثقافة الامراء انفسهم رمزاً لهذا الازدهار في الشعر والنثر ، اذ ان اغلب الامراء من بني طاهر شعراء ويقرضون الشعر بالعربية ، كما عرف عنهم رصانتهم البلاغية وحسن تدبيرهم وكتابتهم ، وشجع امرائهم على تعليم القرآن ونبذ كل الثقافات الفارسية القديمة من ادب او مؤلفات اذ امر الامير عبدالله بن طاهر بحرق كل مؤلف مجوسي يخالف شرع الله والقرآن الكريم ، وبذلك اختفت الثقافة الفارسية من المجتمع الخراساني .

الامارة الصفارية (253-289 هـ):

كان الصفاريون اول اسرة فارسية في المشرق الاسلامي تحدت بصورة سافرة الخلافة العباسية ، وقاد مؤسس هذه الاسرة يعقوب بن الليث الصفار ومن بعدة اخوه عمرو بن الليث حركة مسلحة ضد الخلافة لاحتلال العراق. وحكام هذه الاسرة هم :

1- يعقوب بن الليث :

كان يعقوب بن الليث الصفار مؤسس الامارة الصفارية في سجستان التي كانت تابعة للطاهرين ، ونشأ يعقوب في قرية قرنيين او (وزرنيين) احدى قرى سجستان ، وكانت نشأته متواضعة ثم رحل الى سجستان ، وهناك عمل بحرفة الصفارة، فلقب بالصفار ، كان جواداً كريماً يبذل كل ما يملك من المال على رفاقه، لكسب حبهم ويرعى جميع اقاربه واعوانه ، ترك يعقوب حرفة الصفارة وعمل مع العياريين اذ يقومون بالسرقة وقطع الطرق على الناس واصبح زعيماً لأحدى هذه الفرق وعلى الرغم من كونهم لصوص ، غير ان للعياريين بعض المبادئ التي يلتزمون بها منها الحفاظ على حق الخبز والملح ، والمروءة ومساعدة المحتاجين عند الضرورة .

عمل يعقوب ضد المتطوعة لقتال الخوارج في سجستان ، وتمكن صالح بن النظر الكناني زعيم المتطوعة وبمساعدة يعقوب الصفار من السيطرة على سجستان سنة 237 هـ ، غير ان الطاهرين استطاعوا من استعادتها منهم ، ثم توفي صالح الكناني ليحل محلهُ في زعامة المتطوعة درهم بن الحسين ، وقد جذب درهم اصحابه وقلوب العامة في سجستان اذ تطوع لقتال الخوارج وابعاد شرهم عن سجستان ، وقد شارك معه يعقوب بن الليث ، اذ كان يوكل اليه المهام الصعبة ، حتى تمكن يعقوب من السيطرة وفرض زعامته على المتطوعة ، وبايعهُ الجند ، وقويت شوكته ، وتمكن من دحر الخوارج في سجستان ، واظهر التمسك بطاعة الخليفة العباسي ونشر الامن وضبط الطرق واظهر تمسكه بكتاب الله وسنة نبيه والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو مدرك تماماً مدى حاجته لإظهار طاعته للخلافة لكي يحصل على تأييد الخليفة من اجل ولاية سجستان ، واستطاع بذلك حصوله على منشور التولية .

فتوحات يعقوب بن الليث الصفار :

1- استيلاء يعقوب على هراة وبوشنج:

كان طموح يعقوب اكبر من السيطرة على سجستان ، فقد ضم مناطق جديدة على حساب امير خراسان فزحف الى هراة بوابة خراسان الشرقية سنة 253 هـ ، وانتزها من عاملها الطاهري كما ضم بوشنج اليه وبذلك اقتطع اجزاء مهمة من خراسان .

2- استيلاء يعقوب على كرمان

استولى يعقوب على كرمان سنة 255 هـ ، بسبب طمع كل من يعقوب الصفاري ووالي فارس علي بن الحسين بن قريش ، والذي كتب الى الخليفة المعتز بالله يطلب منه كرمان ، وفي نفس الوقت كتب المعتز بولاية كرمان ليعقوب الصفاري ، وهو بذلك ضرب طامعين في الوقت ذاته فإيهما هلك هو انتصار للخلافة ، فبعث علي بن الحسين والي فارس قائده طوق بن المفلس الى كرمان واستولى عليها وعلم يعقوب بذلك الامر وما ان اقترب من كرمان اضطر ان يعسكر قربها ومكث لمدة شهرين ولم يبادر بالهجوم ، وفكر في حيلة للأيقاع بعلي بن الحسين فتظاهر بالعودة وترك كرمان ، واعتقد طوق ان الصفاري تركه ورحل ، فانشغل بأمور اللهو واللعب فعاد يعقوب واستطاع ان يستولي على كرمان ويأسر قائدها .

3- استيلاء يعقوب على فارس وكابل .

4- استيلاء يعقوب على نيسابور

استولى يعقوب على نيسابور سنة 259 هـ لان عبدالله السجزي كان ينافس يعقوب على سجستان ، فلما تمكن يعقوب من سجستان ، فر عبدالله السجزي الى نيسابور ، فبعث يعقوب الى محمد بن طاهر يطلب منه تسليم السجزي ، ولكنه رفض تسليمه له ، فزحف يعقوب الى نيسابور وقد ارسل محمد بن طاهر الى يعقوب فقال "(اذا كنت قد اتيت بأمر من امير المؤمنين فاعرض العهد والمنشور حتى اسلمك الولاية والا فارجع) فلما وصل الرسول الى يعقوب سحب سيفه من تحت المصلى وقال: (هذا عهدي ولوائي) وقبض على محمد بن طاهر واستولى على خزائن امواله .

علاقة الصفارين بالخلافة العباسية :

برر يعقوب دخوله الى خراسان بان اهلها قد استنجدوا به لتخليصهم مما هم فيه من سوء حالهم ، كما خوف يعقوب الخلافة العباسية بقوة العلوين الناشئة في طبرستان كي يحصل يعقوب على التفويض بحكم خراسان الى جانب سجستان ، غير ان رد الخلافة كان مغايراً اذ كان الخليفة يرى في طموح الصفاريون تهديد للخلافة فانكروا عليه هذه الاعمال وحثه الخليفة الى الرجوع الى ما اسند اليه من اعمال والا اعتبر خارجاً عن السلطة ، لم تعجب هذه التصرفات يعقوب بن الليث فتجهز لغزو بغداد واسقاط الخلافة معتمداً على قوته ، واعلن ذلك بصراحة ودارت مراسلات بين الخليفة المعتمد ويعقوب بن الليث حول العدول عن غزو بغداد والرجوع الى خراسان ، غير انه رفض ذلك وتوجه صوب العراق ففتح المدن حتى وصل واسط في منطقة دير العاقول وخرج اليه الخليفة بجيشه مقدماً اخاه الموفق ودارت معركة شرسة بين الجانبين عام 262 هـ ، دارت فيها الدائرة على المتمرد الصفاري ، وقتل العديد من جيشه وانسحب يعقوب نحو خوزستان ومن ثم الى جند يسابور يجر اذيال الهزيمة .

أسباب هزيمة يعقوب :

1- جعل يعقوب بن الليث الصفار بما طرأ في مركز الخلافة من قوة بعد ان استرد عافيتها احمد الموفق وبسط سيطرته على قادة الجيش الاتراك.

2-اعتزاز يعقوب بنفسه ورفضه التعاون مع بهبوذ صاحب الزنج الذي عرض عليه المساعدة للقضاء على الخلافة العباسية .

3-كره اصحاب يعقوب القتال معه لما راو الخليفة العباسي قد حضر للقتال بنفسه ، وحمل بعض اصحاب يعقوب بأنه قد شق عصا الطاعة وخرج ضد الخليفة .

4- نجاح الخطة الذي وضعها الموفق بفتح القنوات المائية ضد جيش يعقوب فهلك اكثر جيشه ، وقاد هجوم على مؤخرة جيشه مما ولد الاضطراب في معسكر الصفاريين فحلت بيهم الهزيمة

ورغم انكسار يعقوب غير ان الخليفة العباسي حاول استرضاه بان اقره على اعماله في المشرق غير انه اصر على العصيان والتمرد حتى مات في جند يسابور سنة 265 هـ .

2- عمرو بن الليث الصفار:

خلف اخاه في زعامة الصفاريين وما تميز به عمرو كفاءته وبعد نظره فعمل على تحسين العلاقة مع الخلافة فأقرهُ الخليفة المعتمد على ما كان لأخيه سابقاً من خراسان واصفهان وسجستان وشرطة بغداد وبعث اليه العهد والخلع ، فأستخلف عمرو بن الليث على شرطة بغداد عبيد الله بن طاهر .

تعرض عمرو بن الليث لحركات تمرد وعصيان اذ اعلن بعض الثوار العصيان ضده متوهمين بأنه عاجز ولا يملك ما كان لدى اخيه يعقوب من قدرة عسكرية ، فأستطاع ان يقضي على جميع حركات التمرد ضده .

علاقة عمرو بالخلافة العباسية :

حرص عمرو بن الليث على تقوية العلاقة مع دار الخلافة فكان يرسل الهدايا الثمينة الى دار الخلافة تعبيراً عن ولاءه للخلافة غير ان الخليفة كان يرى بأن لا امان للصفارين ، وما ان انتصر العباسيون على تمرد الزنج حتى تفرغوا للقضاء على الصفاريين ، ونشبت الحرب بينهما ، وانتهت بإعادة عمرو بن الليث على شرطة بغداد ، وما ان تولى المعتضد الخلافة حتى بادر عمرو بأرسال الهدايا والتحف للخليفة الجديد وسأله ان يوليه خراسان ، فأجابه الخليفة الى طلبه وبعث اليه اللواء والتقليد بحكم خراسان واسقط بذلك حكم الطاهرين لها والى الابد ، وقد اخلص عمرو بن الليث للخلافة العباسية ،

واستطاع ان يقضي على تمرد الخارجين على الخلافة العباسية ، وطلب من الخليفة المعتضد توليته على بلاد ما وراء النهر والتي كانت فيها الاسرة السامانية الناشئة ، وقد بعث الخليفة الى كل من اسماعيل الساماني وعمرو الصفاري بولاية بلاد ما وراء النهر ، ويبدوا انه كان يقصد من ذلك ادخالهم في صراع مسلح كي يضعف احدى القوتين على اقل تقدير ، وفعلاً تم له ذلك اذ نشب الصراع بين السامانيين والصفاريين ، كانت الغلبة فيها للسامانيين على الرغم من محاولة السامانيين تجنب الحرب بينهما ، غير ان غرور وطمع عمرو قد عجل في نهايته وانتهاء دولتهم بسرعة اذ وقع اسيراً بيد اسماعيل الساماني ، والذي بعث به الى دار الخلافة عند الخليفة المعتضد ، وسجن حتى مات في سجنه سنة 289 هـ وبذلك انتهت ثاني امارة في المشرق الاسلامي .

ثالثاً : الامارة السامانية (261 – 389 هـ)

أولاً : نسب السامانيين :

يعود اصل الاسرة السامانية الى الاقوام الفارسية ، وهم ينتسبون الى سامان خداه وهم من اولاد بهرام جوبين احد قادة الفرس المشهورين والذي قاد ثورة ضد البيت الحاكم في دولة الفرس .

كان سامان خداه عمدة قرية سامان احدى مناطق بلخ ، علماً ان سامان خداه لم يكن اسم الشخص بل لقباً يطلق على الحاكم او العمدة .

كان سامان خداه احد ابرز اعيان بلخ وقد فر منها على اثر نزاع مع خصوم له ، فلجأ الى اسد بن عبدالله القسري والي خراسان في العصر الاموي ، والذي احسن وفادته واكرمه فطلب مساعدته على عدوه الذي اخرجه من بلخ ، فعاونه اسد وقهر اعدائه ، وقد اسلم سامان بعد هذا الامر على يد اسد بن عبدالله القسري . ولما رزق سامان بولد اسماه ((اسد)) لمحبته اسد بن عبدالله وكان هذا اسد جد الاسرة السامانية فيما بعد ، ولما شب

اسد رزق بأربعة ابناء هم نوح واحمد ويحيى والياس ، وقد قدم بهم الى المأمون اثناء ولايته على خراسان ، وقد ساعد اسد وابنائه الخليفة الرشيد وابنه المأمون في انهاء تمرد رافع بن الليث في سمرقند ونالوا بذلك رضا الخليفة الرشيد والمأمون .

بعد رحيل المأمون الى بغداد لتولي مقاليد الخلافة وتعيين غسان بن عباد على خراسان فقد اوصاه بأبناء اسد خيراً لحسن صنيعهم ، فعين نوح على سمرقند ، واحمد على فرغانة، ويحيى على الشاش واشروسنة ، والياس على هراة ، فتمكنوا من ادارة شؤون تلك البلاد بكل كفاءة .

استمر حال السامانيين في مناصبهم طيلة عهد الطاهرين في خراسان ، يتوارثون حكم المدن في بلاد ما وراء النهر ، وفي عهد الخليفة الواثق العباسي اعطي المنشور لإدارة بلاد ما وراء النهر للسامانيين في سنة 201 هـ وقد ترتب على هذا التعيين تقوية نفوذ هذه الاسرة الناهضة ، وازدهرت بهم احوال بلاد ما وراء النهر فقد اخذ النظام يسود كافة الاقاليم حول سيحون وجيحون ، تلك البلاد التي كانت تعاني من الاضطرابات ، حتى نجح السامانيين في تثبيت الامن .وكان ذلك ظهورهم كقوة على مسرح الاحداث في المشرق الاسلامي .

الامراء السامانيين :

أولاً : نصر بن احمد :

كان والياً على سمرقند من قبل عامل خراسان ، وبعد زوال الاسرة الطاهرية استقل نصر بن احمد بحكم بلاد ما وراء النهر سنة 261 هـ وكان ذلك التعيين من قبل الخليفة المعتمد العباسي ، ويدل على قوة ونفوذ السامانيين واستطاع نصر ان يضم بخارى الى حكمه بعد ان اسنجد اهلها بالسامانيين ، وقد دخل نصر بن احمد في صراعات مع قوى مختلفة اثناء ولايته ، فقد كان يعقوب بن الليث الصفار يطمع في توسيع حدود مملكته

بعد الاستيلاء على جميع خراسان ، وتطلع الى بخارى ، غير ان اطماعه قد توقفت هناك بعد هزيمته على ايدي السامانيين .

دخل الامير الساماني في صراع مع اخيه اسماعيل الذي كان يحكم بخارى نيابة عنه ، وقد فسدت العلاقة بين الاخوين بسبب طلب نصر من اخيه اسماعيل دفع خمسمائة الف درهم من اموال بخارى اليه ، غير ان اسماعيل قد عجز عن دفع ذلك المبلغ لانشغاله بانفاق المال في القضاء على المتمردين ، ورغم توسط رافع بن هرثمة في ابرام الصلح بين الاخوين غير ان ذلك لم يدم طويلاً اذ اوقع اهل السوء بين الاخوين ، حتى تطورت الامور الى الصراع المسلح بينهما ، فعبأ كل منهما الجيوش ودار القتال بين الاخوين في سنة 275 هـ ، وانتصر اسماعيل على نصر الذي وقع اسيراً بيد اخيه ، وحينما رأى اسماعيل اخاه ترجل وتقدم نحوه وقبل يده الى سمرقند معززاً مكرماً مع جمع من الحشم والحاشية ، وقام اسماعيل نائباً عنه في بخارى ، توفي نصر بن احمد سنة 279 هـ .

ثانياً : اسماعيل بن احمد :

بعد وفاة نصر بن احمد بعث الخليفة المعتضد بالله مرسوماً بتولية اسماعيل بن احمد على بلاد ما وراء النهر سنة 280 هـ ثم جدد المرسوم الخلافي في عهد الخليفة المكتفي بالله .

يعد اسماعيل بن احمد اول السلاطين السامانيين ، كان ملكاً جديراً بالملك ، ورجلاً عاقلاً عادلاً ذا رأي وحنكة ، اظهر الطاعة للخلفاء العباسيين ويرى ان تبعيتهم واجبة ، جعل اسماعيل بخارى حاضرة الملك ، وقد انتعشت بخارى في عهده واستطاع من توطيد الامن في بلاد ما وراء النهر وانتعش طريق التجارة مع الصين وآسيا الوسطى .

دخل الامير اسماعيل بن احمد في العديد من الصراعات ابرزها :

1- الصراع مع الصفاريين ، وقد سبق الحديث عنه في زمن الصفارين .

2- الصراع مع الزيديين .

انتهز محمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان والديلم وقوع عمرو بن الليث الصفاري اسيراً لدى السامانيين ، فخرج لمد نفوذه صوب خراسان ظناً منه ان الامير اسماعيل بن احمد الساماني اكتفى بحكم بلاد ما وراء النهر ، فبعث اليه اسماعيل ينهاه عن ضم جرجان غير انه رفض ، فتغلب عليه اسماعيل بجيش بعثهُ اليه واسر ابنه زيد ، فحمل زيد بن محمد العلوي الى اسماعيل الساماني فأكرم نزله واحسن اليه

3- السامانيون والاتراك :

حرص السامانيون على نشر لواء الاسلام في ربوع البلاد الخاضعة لسلطانهم كلما سنحت لهم الفرصة ، ثم اخذوا في شن حروب كثيرة ضد الاتراك ، وقد اصطبغت هذه الحروب بالطابع الديني في عهد اسماعيل بن احمد ، ويعزى الفضل الى اسماعيل بن احمد في توجيه جهد السامانيين نحو المشرق بالجهاد في سبيل الله في تركستان وتأكيد اسماعيل الساماني على صفة كيانه الثغري ، قد اكسبه احترام الخلافة العباسية وجعل علاقاته تتصف بالود والتقدير المتبادل .

وقد سار الامراء السامانيين على رأس الحملات العسكرية في جهادهم ضد الاتراك ، وكانت تلك الحملات تحضى بدعم ومباركة الخلافة العباسية .

4- العلاقة مع الخلافة العباسية :

كانت العلاقة بين السامانيين والخلافة العباسية تقوم على المودة ، وكان امراء السامانيين يرون في خضوعهم للخلفاء العباسيين استجلاباً لطاعة الله ، وكانوا دائماً يجاهرون ولو في الظاهر بهذا الولاء ، اذ تلقب امراء هذه الاسرة دون سواهم بلقب (ولي امر المؤمنين) ولم يكن للسامانيين اطماع داخلية في العالم الاسلامي ، وانما امتد نشاطهم الى الميدان الخارجي لتوسيع نفوذ العالم الاسلامي في بلاد ما وراء النهر الى اواسط آسيا ، اما على الصعيد الداخلي ، فلم يكن لهم اطماع حقيقية بقدر ما كانوا يملؤون الفراغ السياسي ، مثلما حصل في خراسان بعد زوال حكم الطاهريين عنها .

نال السامانيون قسطاً كبيراً من الاستقلال عن الخلافة العباسية في بغداد ، فلم تذكر المصادر عن أي تقصير في دفع المبالغ المالية المترتبة عليهم ، كما اعطتهم الخلافة حق وضع اسمائهم الى جانب اسم الخليفة في السكة ، وذكر اسمائهم في الخطب ، كما خولهم الخلفاء العباسيون حرية اختيارهم ولاة الاقاليم وعزلهم من مناصبهم وذلك يعد نوع من انواع الاستقلال شبه الرسمي لهم.

ثالثاً : احمد بن اسماعيل الساماني :

تولى بعد وفاة ابيه سنة 295 هـ وعهد الخليفة المكتفي بالولاية وبعث له باللواء، ولقب احمد بالأمير الشهيد وسار على سياسة ابيه ومن ابرز الاحداث في عهده هي :-

1- قبض على عمه اسحاق بن احمد والي سمرقند الذي كان يليها من قبل ابيه لكي لا يخرج عليه واستدعاه الى بخارى ثم اعتقله .

3- عبور احمد بن اسماعيل الى خراسان والسيطرة عليها بعد مطاردة بارس الكبير والي جرجان الذي حاول السيطرة على خراسان .

5- اغار الاتراك على الدولة السامانية في سنة 301 هـ بخراسان واسروا خلقاً كثيراً من الخراسانيين واستولوا على اموالهم وقتلوا عدداً كبيراً منهم، فخرج اليهم الامير احمد على رأس جيش وتتبعهم والحق بهم هزائم متعددة ، وخلص بعض الاسرى .

6- استولى الامير احمد على سجستان سنة 298 هـ بعدما استطاع تثبيت حكمة في خراسان وبلاد ما وراء النهر ، وللقضاء على ما تبقى من الاسرة الصفارية هناك ، واستطاع ان يبسط سلطة السامانيين هناك بعد نزاعات كبيرة مع قوى مختلفة من خوارج وصفارين حتى تم له السيطرة على سجستان في حدود عام 301 هـ .

7- قتل الامير احمد بن اسماعيل غدراً على يدغلمانه في سنة 301 هـ ولقب بالأمير الشهيد وقد دامت ولايته ست سنين الا اربع اشهر واياماً ، ويبدو ان مقتله كان وراءه العديد من المخططين اذ اكثر اعداء الامير من اقارب البيت الساماني وكذلك الجند وغلمان الأمير وحاشيته ، فكان مقتله لغز كبير لم يكشف حتى الآن .

4-الامير نصر بن احمد (301-331 هـ) (الثاني) / السعيد.

تولى الامير نصر وهو صغير اذ لم يتجاوز عمره الثمان سنوات ، ولقب بالسعيد ودامت ولايته ثلاثين سنة ، وبايعه اصحاب ابيه في بخارى وتولى تلك المهمة احمد بن محمد بن الليث حاكم بخارى ، وظن الناس ان الامر لا يستقيم لنصر كونه طفل وهناك من البيت الساماني من هم اكبر منه سناً واكفأ منه ادارة، وفعلاً ففقد خرجت عليه العديد من الثورات والتمردات الداخلية ، منها مخالفة اهل سجستان له والخروج من طاعته ، تمرد اسحاق بن احمد وابنه الياس في سمرقند ، وشق عصا الطاعة والتوجه لإسقاط بخارى ، غير انه قد بعث جيشاً استطاع ان يقضي على ذلك التمرد ، وقد كثر في عهده الثورات فلم تكن ثورة تهدأ حتى تتبعها اخرى ، ورغم ذلك فقد كان الامير يقضي عليها الواحدة تلو الاخرى ، وقد دب الصراع داخل البيت الساماني نفسهُ مما ولدت مشاكل جسيمة مستقبلاً .

الامير نصر بن احمد والاسماعيلية:

انتشر دعاة الاسماعيلية في بلاد فارس وشرق الدولة العربية الاسلامية، وكانوا يبذلون جهداً كبيراً في نشر افكارهم وجذب الامراء الى زعيمهم عبيد الله بن المهدي ، ومن بين هؤلاء الدعاة ابو عبدالله احمد بن النسفي ، الذي استطاع ان يضم الى الاسماعيلية كثيراً من اهالي خراسان ، ثم انتقل الى بخارى حيث تلقى مساندة من بعض رجالات الدولة هناك ، وبفضلهم وصل النسفي الى الامير نصر بن احمد ، الذي رحب بمبادئ

الاسماعيلية ، وكان نصر بن احمد بادئ الامر معارضاً لهم ، اذ قبض على استاذ النسفي وقتله ، ولكن النسفي استطاع بدهائه وحسن سياسته ان يستميل الامير نصر الى جانب الخليفة الفاطمي عبيد الله بن المهدي ، ومال الامير نصر بن احمد الى الدعوة الاسماعيلية وبعث بكتاب الى عبيد الله بن المهدي يعترف فيه بسلطته الروحية ، وبذلك ازداد نفوذ الداعية النسفي واصبح متحكماً بأمور الدولة والامر الناهي فيها ، مما اثار حفيظة كبار رجال الدولة ، اذ ان المذهب مخالف فالدولة السامانية دولة سنية ، والمذهب الاسماعيلي مذهب مخالف لآرائهم ، وقد كثرت الدسائس حتى وقف الامير نصر على خطر الاسماعيلية ، فتنازل عن الامارة لابنه نوح ، ثم بعدها توفي بفترة وجيزة في حدود سنة 331 هـ .

5-الامير نوح بن نصر بن احمد (331-343 هـ) .

تلقب الامير نوح بن نصر بالحميد وفي زمانه بدأ عصر انحطاط الامراء السامانية ، لأنه بدل من ان يفوض امور تدبير دولته الى وزير ذي معرفة وخبرة، نجدهُ قد فوضها الى رجال من الفقهاء الاتقياء ، ولم يكن لهؤلاء دراية بأمور السياسة والادارة ، فقوض بذلك ركن مهم من اركان الدولة ، وقد واجه نوح العديد من المشاكل الداخلية في البيت الساماني ، مما اضعف كثيراً من سلطانه وكيان الدولة ، ونجد بأن امراء الاسرة السامانية كانوا متهافتين على الولايات والمناصب ، حتى سعى البعض الى التوسط لدى زعماء خارجين كالبويهيين وغيرهم من اجل استلام المناصب الادارية ، واستغل البويهيين ذلك الامر ففرضوا سيطرتهم على العديد من المناطق التابعة للإمارة السامانية ، ودخلوا معهم في معارك تبادل الطرفان خلالهما النصر والهزيمة ، وعمت الاضطرابات ارجاء الامارة السامانية فانفصلت عنها عدة اقاليم مكونة امارات مستقلة .

6-عبدالملك بن نوح (343-350 هـ).

7- منصور بن نوح (350-366 هـ).

ان من اهم الاحداث السياسية في عهده استيلاء ركن الدولة بني بويه على طبرستان وجرجان ، وتطور العداء بين السامانيين والبويهيين ، ولم ينتهي هذا الصراع الا في سنة 361 هـ حيث تم عقد الصلح بين الامير منصور وبين ركن الدولة وعضد دولة من بني بويه ، كما تزوج الامير منصور بأبنة عضد الدولة ، ورغم ذلك فقد عصفت بالأسرة السامانية الاضطرابات وسارت الى طريق الاضمحلال ، بسبب النزاعات الداخلية بين امراء الاسرة السامانية ، من جهة واستقلال ولاة الاقاليم من جهة اخرى بالإضافة الى تطلع البويهيين للاستيلاء على املاك السامانيين ، وفي سنة 362 هـ استغل القائد البكتين ضعف السامانيين وقام امارة غزنة ، واعلن ذلك بكل صراحة حول تأسيس امارة غزنة مما دفع الامير منصور بن نوح الى الاعتراف بها ، على ان يؤدي امير غزنة ضريبة سنوية مقدارها خمسين الف دينار

8- نوح بن نصر (366-387 هـ) الثاني:

امتاز عهده بكثرة الانقسامات وتفاقم الخلافات بين الوزراء انفسهم فنافسوا القادة في تقاسم البلاد واقتطاع اجزائها ، وقد كان عهد الامير نوح مليئاً بالثورات والحروب الاهلية بسبب صغر سنه وتدخل النساء والوزراء في حكمه ، وطمع امراء الاطراف ورغبتهم في التغلب على ما في ايديهم من اقاليم فالبويهيون من جهة والاتراك الغز من جهة اخرى ، اضافة الى تنافس الامراء السامانيين انفسهم، فكثرت المؤامرات والدسائس في عهده ، اذ تأمر قادة السامانيين مع الترك من اجل السيطرة على خراسان ، مما دفع الامير نوح الى الاستعانة بالقائد سبكتكين الغرنوي لنجدته ، للتخلص من تحالف ابو علي بن ابي الحسن بن سيمجور المستولي على خراسان ، والذي تحالف مع طرخان ملك الترك لنجدته ، فأعطى الامير نوح بن نصر ولاية خراسان للقائد سبكتكين ، في حال انقاذه من الخطر المحدق به .

استطاع سبكتكين من محاربة ابي علي بن سيمجور حتى استقر له الامر في خراسان فيما بعد .

9- منصور بن نوح (387-389 هـ) الثاني:

قام بالأمر بعد وفاة والدهُ نوح وقد بايعه الامراء والقواد وسائر الناس ، وقام بتدبير شؤون دولته القائد بكتوزون وقد كان عهده عهد اضطراب وفتن ، اذ هاجم الملك ايلك خان بخارى من اجل توسيع نفوذه على حساب السامانيين فهرب الامير منصور منها ، وحاول الامير ابعاد القائد بكتوزون عنه فأعطاه ولاية خراسان له، مستغلاً انشغال الغزنويين بصراعاتهم الداخلية ، غير ان بانتصار محمود الغزنوي على اخيه اسماعيل قد رجح قوة الغزنويين هناك ، واراد بكتوزون ومحمود الغزنوي السيطرة على خراسان وطلب كل منهما ولاية خراسان من الامير منصور بن نوح ، غير ان قوة الغزنويين الناشئة قد رجحت كفتهم فدخل محمود الغزنوي نيسابور ، مما دفع الامير منصور للتحرك صوب خراسان لإنقاذ ما يمكن انقاذه من دولته المتهاوية ، غير ان القادة تأمروا عليه وهم بكتوزون وفائق، حيث قبضا على الامير منصور فخلع نفسه وسملت عينه واقاموا اخاه عبدالملك وهو صبي صغير ، وقد هاج الناس لذلك العمل الوحشي فتحرك محمود الغزنوي لقتال فائق وبكتوزون وهزمهما واستولى على خراسان وقطع منها الخطبة للسامانيين .

10- عبدالملك بن نوح (389-390 هـ) الثاني

تولى بعد ما خلع الامير منصور نفسه وسلمت عينه على يد بكتوزون ، وانقرض ملك السامانيين في خراسان ، حاول عبدالملك ان يجمع الناس ويحثهم لمناهضة محمود الغزنوي ، غير انه لم يحقق ذلك كون الملك ايلك خان قد وجد في ضعف السامانيين فرصة لا تعوض لتوسيع نفوذه فسار الى بخارى وقبض على بكتوزون وعبدالملك بن نوح وسائر اهل بيته وحبسهم حتى ماتوا في السجن جميعهم وبذلك انتهت الامارة السامانية من الوجود .

عوامل سقوط الامارة السامانية :

1- النزاع بين افراد البيت الساماني .

2-خروج القواد وعمال الاطراف عليهم واستعانتهم ببعض امراء هذا البيت على نوح بن نصر وكان ذلك اول معول في هدم دولتهم .

3-استعانة بعض القواد وعمال الاطراف ببني بويه .

4- تدخل النساء والوزراء في الحكم بسبب صغر سن بعض الامراء .

5- اعتماد السامانيين الفرس على القوة العسكرية المتنامية للأتراك بحيث اصبح غالبية جندهم من الجند التركي ، وقد وصل بعضهم الى مراكز القيادة الحساسة فتعاظم نفوذهم وقوي شأنهم .

6- دخول مبادئ هدامة الى البنية الاجتماعية السامانية ، حيث انتشرت مبادئ الباطنية الاسماعيلية المتطرفة ، وايدها بعض القادة والامراء مما ولد انشقاق داخل نسيج المجتمع نفسه .

الدولة الزيدية (250 -316 هـ)

اتضح لنا مما سبق ان نفوذ الخلافة العباسية في منطقة المشرق الاسلامي اخذ في الانحسار خاصة بعد ان بدأ الضعف والوهن يدب في اوصال الدولة الطاهرية التي اخذت تترنح تحت ضربات الحركة الصفارية والتي حققت مكاسب كبيرة على يد مؤسسها يعقوب بن الليث وبينما كانت المنطقة تئن تحت وطأة هذه الاحداث كانت الدعوة الزيدية تنتشر في منطقة طبرستان على يد خلاياها السرية التي تعمل هناك.

ويبدو ان الدعوة وجدت قبولاً لدى سكان المنطقة لأنهم كانوا يعانون من مشاكل سياسية واخرى اقتصادية ويتمنون الخلاص منها ، وسنجد ان رجال الدعوة الزيدية سوف

ينتهزون الفرصة لصالح دعوتهم ، ويحققوا نجاحاً ملموساً لأنهم اختاروا الزمان والمكان المناسبين .

فمنطقة طربستان منطقة جبلية وعرة المسالك متشعبة الطرق يصعب اختراقها ويسهل الدفاع عنها وكذلك الحال بالنسبة لبلاد الديلم، التي ازرت طبرستان في موقفها من الدعوة الزيدية ، بل واصبحت تتحمل مسؤولية كبيرة لحماية رجال الدعوة ومؤازرتهم . كما ان سكان هذه المناطق كانوا يتعاطفون مع الاسرة الزيدية ، ويرون احقيتهم في الخلافة دون الاسرة العباسية ، وقد خضعت منطقة طربستان الى الدولة الطاهرية التي عينت عليها ولاة لم يوفقوا في حكم البلاد ، فها هو سليمان بن طاهر يعين نيابة عنه فيها محمد بن اوس الذي قام بدوره بتقسيم هذه المنطقة بين اولاده ، وكانوا احداثاً تنقصهم التجربة والممارسة ، فأساءوا الى السكان وقهروهم ، و يصور لنا الطبري هذه الحالة بقوله: ((وعامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبدالله بن طاهر ، والمتولي على سليمان ،والغالب على امره محمد بن اوس البلخي ، وقد فرق محمد بن اوس ولده في مدن طبرستان ، وجعلهم ولاتها وضم الى كل واحد منهم مدينة منها ، وهم احداث سفهاء ، قد تأذى بهم وبسفههم من تحت ايديهم من الرعية ، واستنكروا منهم ومن والدهم ومن سليمان بن عبدالله سفههم وسيرهم فيهم وغلظ سوء اثرهم فيهم)).

وقد كانت اكثر المناطق الطبرية ضرراً منطقتا كلار وشالوس ، حيث يتولاهما احمد بن محمد الذي عرف بظلمه وجبروته ، فقد كان يجمع الضرائب في السنة الواحدة اكثر من مرة، ولا اريد ان اضيف شيئاً الى نص الطبري ، فهو غني عن الشرح والبيان ، اذ يبين مدى ما كان يتحمله الاهالي من ادارة يتولاها رجال عديمي الخبرة قليلي الممارسة ، فعمت الفوضى البلاد واستشرى الفساد والظلم ، وتذمر الاهالي الذين انقسموا الى قسمين :

قسم باع ارضه ورحل الى مناطق مجاورة في بلاد الديلم للتخلص من هذه الاوضاع القاسية، والقسم الآخر استمر في ارضه مع شعوره بوجوب رفض الامر الواقع ، ومحاولة تغييره الى الأحسن . معنى ذلك ان النفوس قد اصبحت في هذه المنطقة مهيئة للثورة والتمرد ضد ولاة المنطقة ، لكنهم بمفردهم لا يتمكنون من تحقيق مآربهم ، فأخذوا يبحثون لهم عن مؤيدين وحلفاء يساعدوهم ويشدوا من ازرهم ، فراسلوا الديلم وطلبوا منهم المساعدة ، فأستجاب لهم هؤلاء لآنهم يحقدون على الطاهريين وكذلك على الخلافة في بغداد والسبب هو ان محمد بن اوس هاجم بلادهم رغم انهم كانوا في حالة موادعة ومصالحة، فسبى ونهب وقتل الكثير ، ومما زاد الطين بلة انه في عام 250 هـ ثار يحيى الطالبي في منطقة الكوفة ، إلا ان الثورة لم توفق وقتل قائدها على يد محمد بن عبدالله بن طاهر ، فأراد الخليفة المستعين ان يقدم له مكافأة على خدماته فأقطعه اراضي في منطقة كلار و شالوس ، فأرسل محمد بن طاهر بعض مساعديه ، وعلى رأسهم رجل نصراني اسمه جابر بن هارون ، ليضموا هذه الاراضي ولم يكتفوا بما اقطعهم الخليفة ، ولكنهم اضافوا اليها ارضاً مواتاً مجاورة لها ، وإذا علمنا ان اهالي كلار و شالوس كانوا يستفيدون من تلك الاراضي في رعي مواشيهم ، لذلك تصدوا للطاهريين ومنعوهم من اخذ هذه الاراضي.

وهكذا يزداد التوتر بين اهالي هذه المنطقة وبين الطاهريين ، ويصور الطبري هذا الموقف بقوله: ((فلما ايقن القوم بذلك راسلوا جيرانهم من الديلم وذكروهم وفاءهم لهم بالعهد بينهم وبينهم وما ركبهم به محمد بن اوس من الغدر والقتل والسبي وانهم لا يأمنون من ركوبه إياهم بمثل الذي ركبهم به ، ويسألونهم مظاهرتهم عليه وعلى من معه)) .

هذا النص يوضح ان اهالي كلار و شالوس راسلوا الديلم وطلبوا منهم ان يقف الجميع ضد الخطر الذي يهددهم فأستجاب الديلم لطلب الاهالي رغم انهم لم يكونوا وإياهم على دين واحد ، فالديلم ما زالوا على الوثينة _ وإن كان هناك قلة من المسلمين بينهم _ ويستطرد الطبري في حديثة فيورد رد الديلم ((فأجابهم الديلم الى ما سألوهم من ذلك ،

وتعاقدوا هم واهل كلار و شالوس على معاونة بعضهم بعضاً على حرب سليمان بن عبدالله بن طاهر وابن اوس وغيرهم ممن قصدهم بحرب)) واضح من النص ان تحالفاً قد بدأ بين الطرفين ، وهذا التحالف كان موجهاً ضد الطاهريين ومن يقف الى جانبهم ، ويبدو ان المقصود هنا هو الخلافة ، ولا يجب ان نستغرب هذا الموقف ، فالعلاقة بين الديلم والخلافة غلب عليها طابع التوتر والعداء ، وعلى العموم فالتذمر بين الجماهير طبرستان والديلم اخذ يتسع ويزداد مع مرور الايام ، ولكن هذا التذمر يحتاج الى من ينظمه ويخرجه الى حيز التنفيذ . وهنا لابد وأن نشير بأن عيون رجال الدعوة الزيدية كانت ترقب ما يحدث عن كثب ، لأنها كانت متواجدة بين اظهرهم ، تدعو لأسناد زعامة المسلمين الى آل بيت الرسول –صلى الله عليه وسلم– ، وهذا امر تعارضه الخلافة العباسية .

بدأ الاتصال بين الزعامة المحلية في طبرستان (كلار و شالوس) وبين ابناء الاسرة الزيدية ، فلماذا اذن وقع اختيار هذه الزعامة على افراد هذه الاسرة ؟ والاجابة هنا يمكن تلخيصها في الآتي :–

1– إن العداء والمنافسة بين الاسرة الزيدية والعباسية كان قائماً بشكل سافر، لذلك فهناك امكانية الاستفادة من قيادة هذه الاسرة نظراً لخبرتها وممارستها في مثل هذه الظروف .

2– إن آل البيت كانت لهم في قلوب الأهالي مكانة عالية ، فإذا ما اعلنت الحركة عن هويتها ، فإن المتوقع ان اعداداً كبيرة من المؤيدين والانصار سوف ينضوون تحت رايتهم ، وبذلك تكتسب حركتهم الطابع الشعبي الذي له قاعدة عريضة .

3– وفي نفس الوقت فإنهم يدركون ان الحركة العلوية لن ترفض هذا العرض او التحالف الذي يضمن لها عمقاً استراتيجياً وزخماً بشرياً هائلاً ضد عدوهم المشترك ، إذا جاز هذا التعبير ، فالحركة في حاجة الى قاعدة شعبية ترتكز عليها ، وفي

نفس الوقت فالحركة الشعبية في طبرستان تحتاج الى قيادة لها لتأخذ بيدها وتنقذها من الظلم الواقع عليها . والغريب ان الديلم يوافقون على الانضمام لهذه الحركة الأمر الذي دفع بعض المؤرخين ان يستغرب هذا الموقف قائلاً : ((وصاروا جميعاً –الديلم واهل كلاروشالوس –بما اشتملهم من الجور متفقين على عداوة السلطان واستئصال وطأته..))

اتصلت زعامة الاهالي بشخصية علوية بارزة وهي محمد بن ابراهيم ، وكان يقيم في طبرستان ، وطلبوا منه ان يقود حركتهم ، لكن محمداً هذا اعتذر لهم بلباقة ، واوضح لهم بأن هناك من هو اكثر منهم كفاءة ومقدرة ، ويستطيع ان يقود تحركهم الى بر الامان ، فرحم الله امرءاً عرف قدر نفسه فجلس دونه ، اذ قال لهم: ((هو اقوم بما دعوتموه اليه مني))، فدلهم على الحسن بن زيد– بن محمد بن اسماعيل بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن ابي طالب – وكان يقيم في مدينة الري، وجرت الاتصالات فأقتنع بقيادة الحركة ، وشد الرحال الى حيث الانصار ، ويصور الطبري الموقف بقوله : ((فوافاهم الحسن بن زيد وقد صارت كلمة الديلم واهل كلار وشالوس واحدة على بيعته وقتال سليمان بن عبدالله)) ويعدد الاطراف التي بايعته ((ابناء رستم– محمد وجعفر– زعيما كلار وشالوس وجماعة اهل الثغور، ورؤساء الديلم ... واهل رديان ...)).

قيام الدولة:

كان وصول الحسن بن زيد الى طبرستان عام 250 هـ ومبايعته هناك يعني بداية قيام دولة جديدة لها توجهاتها المعارضة للخلافة ومبادئها ، لذلك فان هذه الدولة الجديدة سوف تواجه العديد من المشاكل ، ومن جهات واطراف متعددة ، يأتي في مقدمتها الطرف الاكثر ضرراً من قيامها واعني به الدولة الطاهرية ، اما الطرف الثاني الذي لم ولن يرضى عن قيام الدولة الزيدية هو الخلافة العباسية ، اما الطرف الثالث الذي سوف يخلق مشاكل وصعوبات في وجه الدولة الجديدة هي الدولة الصفارية الناشئة التي اخذت هي الاخرى

في توسيع ممتلكاتها ، ولكل من هذه الاطراف مبرراته في الصدام مع الزيديين كما سنبين الآن .

فمنطقة طبرستان كما هو معروف كانت تابعة للدولة الطاهرية التي عينت عليها محمد بن اوس ، وقد تصدى هذا الوالي للدعوة الزيدية اثناء مرحلتها السرية ، حيث تذكر المصادر ، انه نمى الى علمه بأن شيئاً ما يدور على ارض طبرستان ،وان الامور لا تسير لصالحه ، فبث عيونه في كل مكان ، ولكن دون ان يتمكن من اكتشاف امر الخلايا السرية التابعة للدعوة .

أما في هذه المرحلة وبعد ان اتضحت الامور وعرفت قيادة الدعوة وتنظيمها، فقد حشد محمد بن اوس قواته ليتصدى لها ويمنعها من تحقيق اهدافها ، وكانت بداية الاحتكاكات في شهر رمضان عام 250 هـ وكانت النتيجة لصالح الحركة الزيدية، خاصة وقد وصلتها مساعدات من الديلم ، حيث يقول العاملي : ((وجاء الى الداعي مدد من جيلان ...وانضم الى الحسن اربعة آلاف فارس من اصحاب وهوذان الديلمي)) ولكن الهزيمة التي وقعت بقوات محمد بن اوس لم تكن قاتلة ولم تفت في عضد الطاهريين ، حيث تصدى سليمان بن عبدالله بن طاهر صاحب طبرستان ، لكنه هو الآخر لم يوفق وهزم في شهر ذي الحجة من نفس العام . ويذكر ابن الاثير ان سليمان بن طاهر قد انهزم امام الحسن لأنه لم يكن راغباً في قتاله ، لأن الطاهريين في ظن ابن الاثير كانوا يتشيعون ويدلل على ذلك بأبيات من الشعر وردت على لسان سليمان يقول :

نبئت خيل ابن زيد اقبلت خبباً تريدنا لتحسينا الامرينا
يا قوم ان كانت الانباء صادقة فالويل لي ولجميع الطاهريينا
أما أنا فإذا اصطفت كتائبنا أكون من بينهم رأس المولينا
فالعذر عند رسول الله منبسط اذا احتسبت دماء الفاطميينا

وفي ظني ان هذا امر بعيد عن الدقة والصواب بدليل ما كان عليه الطاهريون من علاقات ود وتعاون وثقة مع الخلافة العباسية ، ولو كان الطاهريون كما يعتقد ابن الاثير لكانت هذه العلاقات عكسية تماماً .

وخلال العامين التاليين كانت الحرب سجالاً بين الطرفين إلا أن نهايتها كانت تأكيد سيطرة الحسن على منطقة طبرستان وهزيمة الطاهريين الذين تخلوا أيضاً عن منطقة جرجان ، وكان يليها إذاك محمد بن طاهر الذي هزم رغم الاستعدادات التي بذلت والاموال الطائلة التي انفقت.

هذا عن علاقة الزيديين بالدولة الطاهرية التي كانت تدافع عن نفسها وممتلكاتها وهيبتها وكذلك عن هيبة الخلافة في منطقة المشرق الاسلامي .

اما عن موقف الخلافة العباسية ، فأنها لم تقف مكتوفة الايدي امام ما يدور على ارض طبرستان ، ولن تسمح – اذا تمكنت – للزيديين ان يحققوا اهدافهم ويقيموا دولتهم وذلك للأسباب التالية :

1- إن نجاح الحركة الزيدية في اقامة دولة لها يعني تقليص النفوذ السياسي والمذهبي للخلافة العباسية في هذه المنطقة والاطاحة بهيبتها في اقليم تعتبره من الاماكن الحيوية لها .
2- المعروف ان المشرق الاسلامي كان يشكل بالنسبة للخلافة مصدراً بل مورداً هاماً من موارد دخلها ، فإذا فقدته او فقدت بعضه فإن هذا المورد سوف يتوقف او يتخلخل .
3- المشرق الاسلامي يعتبر قاعدة اساسية من القواعد التي ارتكزت عليها الخلافة من الناحية البشرية والمعنوية بل و تعتبر عمقاً استراتيجياً لا يستغنى عنه ، فإذا بعثرت هذه المنطقة ومزقت فإن ذلك يؤثر على قوة الخلافة العباسية وقدرتها على التأثير والتعامل مع بقية المناطق .

4- ان نجاح الحركة الزيدية يدفع بها الى توسيع ممتلكاتها وسوف يكون هذا على حساب الخلافة وممتلكاتها وعلى حساب انصارها ومؤيديها من الطاهريين .

5- ان نجاح الحركة الزيدية قد يشجع بعض الولاة على التمرد والوقوف في وجه الخلافة .

وللعوامل سالفة الذكر وقفت الخلافة موقفاً حاسماً ضد الدعوة الزيدية وتحركها ، وحاولت ان تضع حداً لها بشكل أو آخر وبمختلف الوسائل .

فالى جانب التشكيك ومحاولات الحط من اقدار الزيديين امام العامة ، لجأت الخلافة الى استخدام القوة على قدر استطاعتها ، ففي عام 253 هـ كلف القائد موسى بن بغا من قبل الخلافة بقيادة حملة عسكرية ، وتمكنت هذه الحملة من هزيمة الحسن بن زيد الذي فر الى بلاد الديلم ، وانسحبت قوات الخلافة بسبب عدم الاستقرار في العاصمة ، فأستغل الحسن الفرصة وعاد الى ممتلكاته ، إلا ان الخلافة ارسلت قواتها ثانية في عام 255 هـ ، ودخلت في مواجهة مع الزيديين وانصارهم من الديلم، وحققت قوات الخلافة انتصاراً ثانياً ضد الزيديين الذين لجأوا من جديد الى الديلم ، وظلوا هناك بقيادة الحسن الى ان غيرت الظروف ووقعت اضطرابات في عاصمة الخلافة ادت الى خلع الخليفة المعتز على يد الاتراك وقتله ثم تنصيب الخليفة المهتدي ، وعلى الاثر اضطرت القوات المرابطة في طبرستان الى الانسحاب والتوجه الى العاصمة لتشارك في تهدئة الامور هناك.

عندها استغل الحسن بن زيد الفرصة وعاد برجاله الى آمل ، ثم دخل الري في عام 256 هـ ، وفي السنة التالية استولى على الكرج ثم تقدم الى جرجان . كل هذا والقوات الطاهرية تتقهقر الى الوراء .

وهكذا نجح الحسن بن زيد في توسيع ممتلكاته ووضع اسس دولته التي استمر على رأسها من 250- 270 هـ .

تولى بعده اخوه محمد بن زيد . في هذه الفترة كانت المعارك محتدمة بين السامانيين والصفاريين انتهت بهزيمة الصفاريين ، وهنا اخذ محمد بن زيد يتطلع الى توسيع ممتلكاته ، وبسط نفوذه على اراضٍ جديدة في خراسان اعتقاداً منه بأن السامانيين لن يقاوموه نظراً لأن قواتهم اصبحت منهكة وانهم ربما اكتفوا بهزيمة الصفاريين ، هذا بالاضافة الى ان محمد بن زيد ربما سار على مبدأ الهجوم خير وسيلة للدفاع ، حيث بات يظن ان انتصار السامانيين على الصفاريين قد يغريهم الى مد نفوذهم على اراضيه ، ففضل ان يهاجم قبل ان يلتقط السامانيون انفاسهم، ويمكن ان نضيف هنا قضية ربما تكون حركت محمد بن زيد وهي رغبته في نشر مذهبه الشيعي في بلاد جديدة .

ومهما كانت الدوافع ، فإن القوات الزيدية توجهت الى الحدود السامانية ، وهنا بدأت الاتصالات بين الطرفين ، وطلب اسماعيل بن احمد الساماني من محمد بن زيد ان يكتفي بما تحت يده من اراض جديدة وقال له في رسالة بعثها اليه : ((الزم عملك ولا تتجاوز ... ولا تقصد خراسان)) إلا أن محمد لم يستجب لدعوة السلام الموجهة من اسماعيل ، ووقع القتال بين الطرفين ، وكانت القوات السامانية بقيادة محمد بن هارون ، انتهت المعركة بدحر القوات الزيدية وهزيمتها ، وجرح محمد بن زيد وتوفي على اثر جراحه ، فألت ممتلكاته الى الدولة السامانية .

علاقة الدولة الزيدية بالصفاريين:

من المعروف ان علاقة الدولة الصفارية مع الخلافة العباسية لم تكن لتسير على وتيرة واحدة ، و إنما كانت متأرجحة ما بين السلم والحرب ، فمرة تعاون ومودة وتبادل للهدايا ، واخرى توتر ومعارك محتدمة ، لكن الصفاريين كانوا يحرصون في كثير من الاوقات ان تكون علاقتهم بالخلافة جيدة ، ويتبعون لتنفيذ ذلك وسائل مختلفة كان منها معاداة الدولة الزيدية وضربها ومطاردتها على اعتبار ان هذه الدولة من اكبر اعداء الخلافة في منطقة المشرق لأسباب ذكرناها ، هذا عامل من عوامل توتر العلاقة بين الزيدية

والصفارية ، وهناك عوامل اخرى منها طمع يعقوب في توسيع ممتلكاته ، وضمان سيادته واستقرارها في منطقة خراسان التي كان تهددها قيام الدولة الزيدية ، واخيراً نقول كان للخلاف المذهبي بين الطرفين اثر في توتر العلاقة بينهما .

اذن فظروف الاحتكاك مهيأة ، لكن الصفاريين لابد وان يبحثوا عن محرك لها لتصل الى مرحلة الاشتباك ، وقد خلق الصفاريون الذريعة عندما اتهموا الحسن بن زيد بأنه يشجع حركات المعارضة ضدهم ، والدليل الذي قدموه قبول الزيديين لعبدالله السجزي الذي لجأ لهم عندما هرب من نيسابور ورفض الزيديين تسليمه، اعد يعقوب حملة عسكرية توجه بها الى طبرستان ووقع القتال بين الطرفين وهزمت قوات الحسن وسقط الكثير من اراضيه في يد يعقوب ، وكذلك سقطت اعداد كبيرة في اسر يعقوب ، ومع ذلك فأن يعقوب وجد صعوبة كبيرة في الايقاع بالحسن بن زيد رغم الانتصار الذي حققه عليه ، ويرجع ذلك الى موقف الاهالي المؤيد للحسن بن زيد ، وقد دفع هؤلاء ثمن موقفهم إذ عاملهم يعقوب بقسوة وعنف ، وقد دافع الاهالي عن انفسهم ، فكانوا ينقضون على جيش الصفاريين كلما أتيحت لهم الفرصة ، وكانوا يلحقون بهم خسائر فادحة ولم يكن موقف الاهالي وحده هو الذي انقذ الدولة الزيدية ، لكن الطبيعة شاركت في حماية هذه الدولة فمنطقة طبرستان معروفة بجبالها العالية وطرقها المتشعبة ومسالكها المخيفة الموحشة ، فتعذر يعقوب ان يفتحها ، هذا اذا اضفنا الى ان منطقة طبرستان تعرضت لسقوط امطار غزيرة مدة اربعين يوماً متواصلة مما جعل الجيش الصفاري عاجزاً عن التحرك ثم وقعت زلازل شديدة في المنطقة اهلكت آلافاً مؤلفة من قوات يعقوب.

وكان لهذه الكارثة اثر سلبي كبير على معنويات يعقوب وجنده ، واضطر الجميع الى العودة الى خراسان بعد ان دفعوا ثمناً باهظاً تعجز دول كبرى عن تحمله ، فقد هلكت معه الابل والدواب التي يعتمد عليها في حله وترحاله وقد ذكر ابن الأثير هذه الكارثة حيث قال : ((ان يعقوب فقد من رجاله ما يقرب من اربعين الفاً ، بالإضافة الى هلاك

خيله وابله وبقية عتاده)) ورغم الخسائر الفادحة التي خسرها يعقوب فقد تمكن في نهاية المطاف من القبض على منافسة عبدالله السجزي .

بعد هذه المعركة التي كلفته الكثير ركن يعقوب الى الهدوء وانصرف الى تنظيم اموره ، كما انه انشغل بمشاكله مع الخلافة ، الامر الذي ادخل بعض التغيير في علاقته مع الزيديين إذ شهدت هذه العلاقة تحسناً نسبياً فأطلق أسراهم لإظهار حسن النوايا ، وظلت الامور على هدوئها بين الطرفين الى ان تولى عمرو بن الليث عام 265 هـ على اثر وفاة اخيه يعقوب .

يذكر الطبري ان محمد بن زيد الذي تولى بعد وفاة اخيه الحسن عام 270 هـ تبادل الرسائل مع عمرو بن الليث حيث طلب عمرو من محمد عدم الوقوف الى جانب حركة رافع بن هرثمة الذي قاد حركة معارضة ضد الصفاريين ، فأستجاب محمد لهذا الطلب ، وبدأ العداء واضحاً بين الدولة الزيدية وبين رافع بن هرثمة نتيجة هذا الاتفاق ، وقد تفجر الموقف بينهما فزحف رافع في عام 275 هـ وتمكن من الاستيلاء على جرجان وطرد عمال الزيديين منها ، ولم تتوقف الحرب بينهما حتى ان محمد بن زيد كان يضطر بين الحين والآخر الى اللجوء الى بلاد الديلم طالباً المساعدة ، وفي عام 278 هـ اجبر رافع بن هرثمة نتيجة ظروف خاصة به ان يتخلى عن الاراضي التي اخذها من الزيديين ، فعاد هؤلاء اليها من جديد ، ورغم هذا الموقف الذي وقفه محمد بن زيد ارضاء للصفاريين ، الا ان هؤلاء ظلوا يتطلعون الى اسقاط الاسرة الزيدية ، طمعاً في ارضاء الخلافة، و لأمر آخر ربما كانوا ينتظرون ان تسلمهم الخلافة بلاد ما وراء النهر اذا نجحوا في هدم كيان الزيديين، لكن مخطط الصفاريين لم ينجح بسبب انشغالهم عن محاربة الزيديين . وفي عام 287 هـ وقع صدام بين الدولة الزيدية والسامانية ادى الى مقتل محمد بن زيد وسقوط دولتهم وانتهاء دورها من على مسرح الأحداث السياسية في منطقة المشرق الاسلامي .

محاولة احياء الدولة الزيدية :

قام بالمحاولة احد ابناء الاسرة الزيدية ، وهو الحسن بن علي بن الحسن من حفدة الحسين بن علي كرم الله وجهه ، وقد شارك الحسن في المعركة التي وقعت بين محمد بن زيد والدولة السامانية في عام 287 هـ ، حيث هزم محمد بن زيد وتمكن الحسن هذا من الفرار الى بلاد الديلم ، وقد اصيب الحسن في هذه المعركة بضربة في رأسه سببت له الصمم ، لذلك كان يلقب بالاطروش ، وكان يلقب ايضاً بالداعي ، استقر الحسن في بلاد الديلم واضعاً في حسابه ضرورة التحرك لأحياء دولتهم ، إلا انه لن يتمكن من تحقيق هذا الهدف بسبب قلة الانصار من حوله ...

لهذا السبب اخذ يفكر في الكيفية التي يتمكن بها من حشد المؤيدين ، فهداه تفكيره الى دعوة الديلم للدخول في الاسلام ، فإذا نجح في ذلك كثرانصاره ومريديه ، وبدأ يدعو الناس هناك للدخول في الاسلام ، وكان الحسن في دعوته حذراً الى ابعد الحدود ، فقد تحاشى الصدام مع السلطة القائمة ((واظهر الحسن لزعيم الديلم انه لا يرغب في التدبير والأمر والنهي ، اي انه لا يتطلع الى الرياسة ، وانه إنما يقيم نفسه مقام المعلم والمرشد الى الدين والداعية الى القائم من اهل البيت)).

وهكذا استمر الحسن في دعوته من هذا المنطلق ودخل الناس في دين الله بأعداد كبيرة ، حتى ان العاملي في كتابه { أعيان الشيعة 303/22 } يذكر ((ان عدد من اسلموا على يديه يقدر بحوالي الف الف نسمة ، وهذا رقم يدل على مدى النشاط الذي كان يقوم به الحسن ورجاله ويدل على همة عالية كان يتمتع بها الرجل ، وقد اشارت المصادر الى ما قام به الحسن ، فالمسعودي يذكر ((وقد كان اقام في الديلم سنتين وهم كفار على دين المجوسية ... فدعاهم الى الله عز وجل ، فأستجابوا واسلموا ... وبنى في بلاد الديلم مساجد)) .

ويشير ابن الاثير إلى نفس القضية فيقول: ((وقام بينهم نحو ثلاث عشرة سنة يدعوهم إلى الاسلام ويقتصر منهم على العشر... فأسلم منهم خلق كثير... واجتمعوا عليه)) وعلى العموم يمكن القول أن الحسن نجح في أدخال بلاد الديلم
إلى الإسلام، فأصبحوا أنصاراً له ومؤيدين وسيعتمد عليهم مستقبلاً في محاولة اعادة قيام دولتهم التي انتهت على يد السامانيين.

وقد جاء على لسان الحسن في خطبة له قال:((أيها الناس اني دخلت إلى بلاد الديلم وهم مشركون، يعبدون الشجر والحجر، ولا يعرفون خالقاً ولا يدينون ديناً، فلم أزل أدعوهم إلى الإسلام وأتلطف في العطف بهم حتى دخلوا فيه أرسالاً، وأقبلوا إلي اقبالاً، وظهر لهم الحق وعرفوا التوحيد والعدل، فهدى الله بي منهم زهاء الف الف رجل وامرأة ... يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون حدود الصلوات المكتوبات والفرائض المفروضات... ثم قاموا بنصرتي، وناصبوا آبائهم وابنائهم العداء في هواي، واتباع أمري في نصرت الحق وأهله، ولا يولي أحد منهم عن عدوه، ولا يعرف غير الاقدام... يرون الفرار من الزحف إذا كان معي كفراً والقتل شهادة وغنماً.)).

وهذا النص غني عن البيان والتعليق فهو يبين المجهود الذي بذله الحسن(الناصر) لإدخال هذه البلاد في الدين الإسلامي الحنيف، ومدى نجاحه في أحداث التغييرات في كثير من المفاهيم التي كانت سائدة، ولكن إذا كان لنا من ملاحظة، فلا بد أن نقول بأن هذه المنطقة لم تكن غريبة عن الإسلام وإنما عرفته ولو بنسبة محدودة بدليل أن مسجداً بني هناك في عام 175هـ .

وعلى العموم أصبح الحسن مسيطراً على قوة عسكرية كبيرة شكلها من مسلمي الديلم، وأخذ ينظمهم ويدربهم ويسلحهم انتظاراً لفرصة مناسبة يزحف فيها على طبرستان ليطرد السامانيين منها. لكن المحاولة الأولى التي بذلها الحسن لم يكتب لها النجاح بسبب يقظة الدولة السامانية وولاتها في طبرستان. إلا أن الحسن ظل يتطلع إلى هناك ويراقب

الموقف عن كثب لكن الأمور في هذه الفترة كانت تسير لغير صالحه بسبب السياسة الحكيمة المتعلقة التي سار عليها والي السامانيين هناك محمد بن نوح، إذ كان يعامل الأهالي معاملة حسنة وينشر العدالة والأمن والطمأنينة، فكسب ثقة الأهالي هناك وبعد فترة زمنية ارتكب السامانيون خطأ كبيراً عندما أصدروا أمراً بتغيير والي طبرستان برجل يقال له سلام، وهذا لم ينجح في السير على نفس الخطى التي سار عليها سلفه، فارتبكت الأمور واضطربت وانفرط عقد الأمن، وانتشرت الفوضى واستشرى الفساد، فعانى الأهالي الكثير في ظل الوضع الجديد، وأخذوا يتمنون الخلاص من هذه الأوضاع. هنا أحس الحسن بمعاناة الأهالي، فأخذ يتصل بهم ويستميلهم إليه، وكانت فرصة طالما انتظرها، تقبل الناس دعوته والتفوا حوله، ودخل في مواجهة عسكرية مع السامانيين على أرض طبرستان، فكانت الجولة لصالحه، إلا أن السامانيين أعادوا هجومهم ضد الحسن لكنهم لم ينجحوا في زحزحته من طبرستان وأخذ يقوي قبضته هناك ويعيد تنظيم أمور البلاد، وبعد هذه الانتصارات أطلق الحسن على نفسه لقب الناصر الكبير.

في عام 304هـ – 916م توفي الحسن فتولى الزعامة بعده الحسن بن القاسم الذي قام بتكليف القائد ليلى بن النعمان بالزحف على خراسان، فتمكن ليلى من الدخول إلى جرجان، وتوجه بعدها إلى نيسابور فدخلها عام 308هـ/ 920م، إلا أن سيطرتهم على هذه المناطق لم تستمر طويلاً، حيث أرسل نصر بن احمد جيشاً لطرد ليلى بقيادة حمويه بن علي، الذي وصل إلى مكان ليلى، ويذكر انه قيل لحمويه أن ليلى يستبطئك في قصده، فقال:((اني البس أحد خفي للحرب العام والبس الخف الاخر في العام المقبل)) فبلغ قوله ليلى فقال: ((لكني البس احد خفي قاعداً والثاني قائماً وراكباً، فلما قتل ليلى قال حمويه: هكذا من يتعجل الحرب)).

هكذا عادت أرض طبرستان من جديد إلى نفوذ السامانيين وكان من الطبيعي أن تبارك الخلافة، هذه الانجازات التي قامت بها الدولة السامانية.

أغرت هذه الانتصارات الدولة السامانية بالتقدم اتجاه البقية الباقية من ممتلكات الزيديين في طبرستان فسارت بقيادة سيمجور الدوائي، وتمكنت من دخول جرجان، والسيطرة عليها تماماً في عام 310هـ/ 922م.

5- الإمارة الزيارية (315- 470هـ/928-1077م)

قد انتشر في بلاد الديلم الإسلام وتكونت إمارة زيدية في طبرستان ولكنها لم تلبث أن ضعفت وتقاسم أراضيها الأمارات المجاورة وخاصة السامانية، وكذلك الأمراء الديلم المحليون الطموحين أمثال مرداويج بن زيار الذي كان أحد قادة الجيش في الدولة الطبرية الزيدية، ولكن الجو السياسي صفا له بعد مقتل منافسيه من القادة الكبار فنجح في لم شعث الديالمة وكون له كياناً سياسياً سنة 316هـ/928م، شمل أجزاءً من طبرستان وجرجان والري.

وحين أمتد نفوذ مرداويج إلى الأحواز كشف عن نواياه وبدأ يفكر جدياً بالهجوم على بغداد.

فقد واجه البويهيين من جهة والسامانيين من جهة أخرى كان قد تبادل معهم النصر والهزيمة، وتمكن الزياريون من التحكم في طريق القوافل التجارية بين بلاد فارس، العراق وخراسان. وطد أخوه(وشمكير) (324-357هـ/935-967م)، دعائم الدولة.

بلغت الدولة أوجهاً أثناء عهد شمس المعالي قابوس بن وشمكير(367-404هـ)، وقد عرف بتشجيعه للعلوم والفنون وقد واجه ضغوطاً من طرف البويهيين انتهى به الأمر إلى أن وضع نفسه تحت حماية الغزنويين زاد ارتباط الزيارين بالغزنويين عندما أصبح فلك المعالي(منوجهر) (404-421هـ/1013-1030م) صهراً للسلطان محمود الغزنوي.

أصبح الزياريون منذ سنة (434هـ/1044م) تحت سلطة السلاجقة، وقد تنازلوا لصالحهم عن العديد من المناطق التابعة لهم؛ وذلك قبل أن يتم إجلائهم نهائياً عن المنطقة سنة (483هـ/1090م).

ب- الدولة التركية:

6- الإمارة الغزنوية (351- 582هـ/962-1186م)

ترجع علاقة المسلمين ببلاد الهند إلى العصر الأموي، حيث استطاع المسلمون تحرير اقليم البنجاب وحوض السند، وكان اكتساب اقليم السند الصبغة الإسلامية في هذه الفترة مقدمة لظهور إمارة مستقلة هي الإمارة الغزنوية التي استمرت نحو قرنين وربع قرن من الزمن(351-582هـ).

وتنسب الدولة الغزنوية إلى سبكتكين أحد مماليك القائد التركي البتكين، الذي كان قد ابتاعه من التاجر نصر حاجي، الذي اشتراه بدوره من إحدى القبائل المجاورة التي أسرته في إحدى حملاتها على البلاد.

يرجع ظهور الدولة الغزنوية التي سميت بعاصمتها غزنة إلى أحد المغامرين الترك المسلمين" سبكتكين"، فقد تولى منطقة غزنة من قبل السامانيون، ثم مد سلطانه في الشرق، حيث ضم إليه إقليم خراسان الذي ولاه عليه نوح بن منصور الساماني سنة 384هـ مكافأة له على قمع الثوار في بلاد ما وراء النهر.

لكن سبكتكين أتجه بأعماله نحو الهند ولم يكن اتجاهه نحو البلاد التي كانت في حوزة السامانيين إلا تلبية لرغبتهم حين استعانوا به على قمع الحركات الخارجين عليهم في خراسان، فقد انضم بقواته إلى نوح بن منصورر الساماني في قتال الخارجين عليه في خراسان وفي قتاله البويهيين الذين رغبوا في الاستيلاء على خراسان من أملاك السامانيين، اعتمد السامانيون على الأتراك في أمور دولتهم وكان قوام جيشهم منهم وولوهم المناصب العسكرية والمدنية الرفيعة فزاد نفوذهم وعلا شأنهم في دولة آل سامان.

ومن أبرز هؤلاء القواد الأتراك الذين أرتفع شأنهم في الدولة السامانية البتكين الذي ارتقى في سلك الجيش الساماني حتى ولي منصب حاجب الحجاب للأمير عبد الملك بن نوح (343–351هـ).

ولقد تمرد البتكين على الساماني‌ين وأقام له إمارة مستقلة في منطقة زابلستان وجعل عاصمته غزنة، ولما توفي البتكين سنة 352هـ، خلفه ابنه أبو اسحق إبراهيم، ولما توفي دون أن ينجب ولد خلفه على حكمها أحد مماليكه وهو بلكاكتين سنة 359هـ، ولكن أهل الولاية خلعوه وعينوا بدله سبكتكين لما كان عليه من عقل ودين وخلق وسبكتكين هو أحد موالي البتكين وكان حاجباً لابنه أبي إسحق، ولي الامارة سنة 366هـ/976م.

وقد استطاع سبكتكين وابنه محمود مع قوات الساماني‌ين الانتصار على هؤلاء الخارجين، كما انتصروا على البويهيين وأعادوا للساماني‌ين مدينة نيسابور، وبعودة نيسابور إلى الساماني‌ين ولى نوح الساماني محمود بن سبكتكين عليها، كما ولاه على جيوش خراسان ولقبه "بسيف الدولة" ولقب أباه سبكتكين "بناصر الدولة"، ولقد اعترف الخليفة العباسي لهما بهذه الألقاب وبحكمها لولاية غزنة.

ومع أن سبكتكين من الناحية العملية، مستقلاً عن الساماني‌ين وأكثر نفوذًا منهم، فإنه كان يعترف لهم بالسيادة، وشن الحروب ويفتتح البلاد باسمهم.

وقد ولَّى سبكتكين منذ أول الأمر وجهه شطر المواقع الجبلية الواقعة في بلاد الأفغان الان،واستولى على بعض المواقع فيها حيث مدينة كابل حاضرة بلاد الافغان الحالية.

وإلى سبكتكين يرجع الفضل في وضع أساس إمبراطورية الغزنونين، إذ امتد سلطانه إلى ناحية الهند، حيث أسس بها حكومة في بشاور.

وتوفي سبكتكين سنة 487هـ/997م، ليخلفه في حكم دولة الغزنويين ابنه محمود ، ولمحمود وابيه سبكتكين من قبله الفضل الكبير في فتح شمال الهند ونشر الإسلام بها، ويرجع اهتمام المسلمين ببلاد الهند إلى عهد الخلفاء الراشدين، فقد شنوا عدة حملات على أطراف هذه البلاد، وكانت أول حملة نظامية وجهت إلى هذه البلاد في عهد الخليفة الوليد بن عبد الملك، إذْ أذن للحجاج بن يوسف الثقفي– عاملة على العراق– بإيفاد حملة إلى الهند فأرسل عدة حملات لم تصل كلها إلى نتيجة حاسمة. فأعد جيشاً أسند قيادته إلى ابن أخيه محمد بن القاسم الثقفي سنة 92هـ/711م، وزحف بقواته من شيراز إلى ثغر مكران إلى الديبل التي استولى عليها المسلمون، وكان الديبل أول مدينة إسلامية في الهند وبعد ذلك استولت قوات محمد بن القاسم على الملتان.

وفي العصر العباسي في عهد المنصور دخلت كشمير في حوزة العباسيين، وفي عهد خلفاء العصر العباسي الأول سيطر المسلمون على البلاد الواقعة بين كابل وكشمير والملتان في اقليم السند.

وتمكن الإسلام في بلاد شمال في عهد الغزنوين نظراً لما قاموا به من فتوح لهذا البلاد ونشر الإسلام بين أهلها، وكان سبكتكين قد أنشأ جيشاً قوياً من الأفغان والترك ورأى ضرورة الانطلاق بتلك القوة الهائلة إلى ميدان فسيح– ولم يكن في استطاعته الاتجاه نحو بلاد العراق؛ لأن البويهيين كانوا قد وطدوا نفوذهم فيها، كما أن بلاد ما وراء النهر كان خانات الأتراك القراخانيين يعملون على بسط سيطرتهم عليها وانتزاعها من السامانيين؛ لذلك أنطلق الغزنوين إلى بلاد الهند من منطقتهم الوعرة لفتحها ونشر الإسلام بها، ومما لا شك فيه أن الرغبة في الجهاد ورفع راية الإسلام في غير بلاد الإسلام كان من أقوى الأسباب التي دفعت الغزنوين إلى القيام بفتوحاتهم.

سار سبكتكين سنة 366هـ/976م على رأس جيش كبير الى شمال غرب الهند واستولى على كابل، ثم استولى على لمغان وهدم بيوت الأصنام بها.

سار محمود الغزنوي على سياسة أبيه التي تنطوي على بسط سيطرة الدولة الغزنوية على بلاد الهند ورأى في هذه البلاد ميدان الجهاد الأكبر فغزاها سبع عشرة غزوة في مدى 27 عاماً (391–417هـ/1000–1026) حتى خضع له شمال شبه القارة الهندية وسعى إلى نشر الإسلام واحلاله محل البرهمية في كل مكان وأخضع كل اقليم البنجاب حيث استطاع خلفاؤه من بعد أن يثبتوا سلطانهم في عاصمتهم لاهور مائة وخمسين عاماً، أندفع في فتوحاته إلى ما وراء نهر الكنج والجانخ ليختتم فتوحه في الهند باحتلاله مدينة كجرات.

على أن اعظم غزوات السلطان محمود حدثت سنة 416هـ/1025م، إذْ فتح عدة حصون ومدن واستولى على الصنم المعروف بسومنات وهو أعظم أصنامهم يحجون اليه كل ليلة خسوف، ويعتقد الهنود أن الأرواح إذا فارقت الأحياء اجتمعت فيه فينشئها فيمن يشاء، وكانوا يحملون إليه نفائس الجوهر ويعطون سدنته المال الوفير وله وقف يزيد على عشرة آلاف قرية يفد إليه البراهمة لعبادته وإقامة الحفلات الدينية على بابه وكانوا يعتقدون أن هذا الصنم يحيي ويميت ويبرئ من العلل.

هاجم محمود سومنات لأنه كان أخطر مراكز المقاومة الهندوكية في وجه الزحف الإسلامي، ولقد نجح محمود في هزيمة القوات المدافعة عن سومنات وحطم الصنم وأحرق بعضه وأخذ بعضه إلى غزنة وجعله عتبة لمسجد غزنة الجامع.

ولقد واصل خلفاء محمود فتح بلاد الهند، ففتح ابنه مسعود(421–433هـ) جنوبي كشمير، كما فتح ابنه مودود (433–441هـ) عدة حصون في بلاد الهند، وفتح إبراهيم بن مسعود (444–452هـ) قلاعاً جنوب لاهور.

ولقد سعدت دولة الخلافة بفتوحات الغزنويين في الهند وخاصة فتوحات محمود وتعبيراً عن هذه السعادة أرسل الخليفة العباسي القادر بالله خلعاً إلى السلطان محمود

الغزنوي لم يسمع بمثلها مع رسول من دار الخلافة وأسبغ عليه في الكتاب الذي قلده حكم الدولة الغزنوية بلقب " يمين الدولة وأمين الملة "فتقوى السلطان محمود برضا الخليفة عليه وكسب حكمه الصفة الشرعية وقوي نفوذه وعظم سلطانه.

وأحدث السلطان محمود الغزنوي في ولاية العهد ما أحدثه أبوه من قبل فلم يعهد إلى ابنه الأكبرمسعود إنما عهد إلى ابنه محمد ذلك لعدم رضائه عن مسعود، وهو نفس الشيء الذي فعله سبكتكين حين لم يجعل ولاية العهد لمحمود وجعلها لأخيه الاصغر اسماعيل، ونجح مسعود في اقصاء أخيه محمد عن الحكم سنة 422هـ، كما نجح محمود من قبل في اقصاء أخيه اسماعيل سنة 389هـ.

ولما استقرت الأمور للسلطان مسعود في غزنة أرسل الخليفة العباسي إليه تقليداً بالحكم مع رسول دار الخلافة.

حكم مسعود الدولة الغزنوية حتى سنة 433هـ، وفي هذا العام توجه السلطان مسعود إلى الهند كعادته في كل شتاء في صحبة أخيه محمد، فلما عبر السلطان مسعود نهر سيحون ثار غلمانه عليه وعزلوه ونادوا بأخيه محمد سلطاناً، ولم يلبث أن اغتيل السلطان مسعود بتحريض من أبناء أخيه محمد حتى تصفو السلطنة لأبيهم.

لم يتغاضى مودود بن مسعود عن المؤامرة التي حلت بأبيه وعوّل الانتقام من قتلته، وكان مودود في خراسان يقاتل السلاجقة فغادرها عائداً إلى غزنة لمقاتلة عمه السلطان محمد وأبنائه الذين قتلوا والده فنجح في هزيمتهم وقتلهم واستعادة ملكه سنة 433هـ/ 1041م.

على أن الحكم لم يستقر لمودود فقد طمع أخوه مجدود في الحكم ولم يرضخ لطاعة أخيه، وكان مجدود في الهند وقت تولى أخيه السلطنة، وجهز جيشاً لمقاتلة أخيه، وفي نفس الوقت جهز مودود جيشاً لإخضاع أخيه، لكن القدر حال

بين الأخوين وبين الاشتباك في قتال، فقد توفي مجدود قبل أن يصلهُ جيش أخيه، وبذلك عادت إلى الدولة الغزنوية وحدتها.

لما توفى مودود بن مسعود سنة 441هـ خلفه ابنه مسعود (الثاني)، وكان طفلاً صغيراً، فعدل الناس عنه إلى عمه على بن مسعود فطمع رئيس الحجاب عبد الرشيد بن محمود في الحكم ودعا الجند إلى المناداة به سلطاناً فأجابوه ودخل غزنة ففر منها على بن مسعود وتربع عبد الرشيد على عرش السلطنة واستقر له الأمر ولقب بسيف الدولة، وجاءت نهاية عبد الرشيد سنة 444هـ على يد أحد حجاب مودود ويدعى طغرل فقتله واستولى على غزنة وتزوج ابنة السلطان مسعود كرهاً حتى يقترب بهذا الزواج إلى بيت سبكتكين وأعلن نفسه سلطاناً.

لكن خزخيز أحد قادة عبد الرشيد الأوفياء عوّل على احباط مؤامرة طغرل واعادة الحكم إلى بني سبكتكين وقتل طغرل وتوليةالسلطنة للأمير فرخزاد بن مسعود.

وعلى الرغم من الأخطار الجسيمة التي تعرضت لها الدولة الغزنوية من جانب السلاجقة جيرانها الأقوياء، فإن أمراء البيت الحاكم لم يكفوا عن التنازع فيما بينهم على الحكم بل استعانوا في خلافاتهم بالسلاجقة الذين لم يألوا جهداً منذ عهد السلطان مسعود في انتزاع بلدان الدولة الغزنوية.

وجاء هذا التدخل حين توفى مسعود بن إبراهيم بن مسعود سنة 508هـ/1114م، وخلفه في السلطنة ابنه أرسلان شاه وخرج عليه أخوه يهرام شاه وسعى إلى التخلص من حكمه واستعان على أخيه بالملك السلجوقي سنجر وطلب منه العون للخلاص من أخيه وتوليته السلطنة بدلاً منه فاستجاب له سنجر وسير جيشاً كثيفاً إلى غزنة لانتزاعها من سلطانها ودخلت قوات السلاجقة مع قوات السلطان الغزنوي في معركة كبيرة انتهت بانتصار جيش السلاجقة، فدخل سنجر غزنة ومعه بهرام شاه فخلع سنجر أرسلان شاه من السلطنة وأحل مكانه بهرام شاه.

ومن أكبر العوامل التي عجلت بانهيار الدولة الغزنوية ظهور الأتراك السلاجقة وارتفاع شأنهم وازدياد قوتهم وسعيهم إلى توسيع ممتلكاتهم على حساب الدولة الغزنوية، كما أن الغور الأفغان خرجوا من عزلتهم الجبلية وعملوا على مد نفوذهم فيما وراء حصونهم وكان خير ميدان لتنفيذ سياستهم بلدان الدولة الغزنوية التي أخذت عوامل الضعف والانحلال تنال منها حتى انهكت قواها ولم تعد تستطيع مقاومة أعدائها الأشداء.

أما السلاجقة فقد أذن لهم السلطان محمود الغزنوي بالإقامة في الأراضي المحيطة ببخارى، ولما أحس بزيادة خطرهم على دولته بعد أن قوى أمرهم حبس أحد زعمائهم في احدى القلاع ببلاد الهند وابقاه رهينة حتى يضمن عدم خروج السلاجقة عن طاعته. ولم يستطع السلاجقة الوقوف في وجه السلطان محمود لقوة بأسه؛ لذلك لم يكن هنالك أي خطر على الدولة الغزنوية من جانب السلاجقة في عهد السلطان محمود.

ولما توفى السلطان محمود وخلفه ابنه مسعود كشفوا القناع عن أطماعهم في الدولة، فنجح السلاجقة في اقتطاع خراسان من الدولة الغزنوية بعد هزيمتهم لقوات السلطان مسعود وهزيمته هزيمة ساحقة سنة 431هـ، وهو عائد بجيشه المتعب من غزوة له لاقليم طبرستان في موقعة داندانقان، ولقد أعلن الملك السلجوقي طغرل بك بن ميكائيل بن سلجوق نفسه ملكاً على خراسان سنة 432هـ، وفقدت الدولة الغزنوية أعظم ممتلكاتها وهو اقليم خراسان بعد موقعة داندانقان الفاصلة.

وانتهز السلاجقة فرصة قتل السلطان مسعود واستولوا على طبرستان وجرجان وسجستان، وسار طغرل إلى خوارزم واستولى عليها، كما استولى إبراهيم ينال على الري وهمدان، وانتزع طغرل أيضاً بلاد الجبل وكرمان واصفهان، ولم يبق بعد ذلك للغزنويين سوى اقليم غزنة وممتلكاها في الهند.

ووقعت الدولة الغزنوية بين شقى الرحى بتعرض الغور له ولممتلكاتها، ولقد عمل هؤلاء الغور على زوال الدولة الغزنوية وإنهاء حكم بيت سبكتكين.

وكان الغور قد بدأوا يعيثون فساداً في ممتلكات الدولة الغزنوية منذ عهد محمود بن سبكتكين، لكن هذا السلطان القوي اشتبك معهم في عدة معارك أوقفتهم عند حدهم، غير أن الغور وجدوا فرصتهم بعد موت محمود ومن خلال الصراع الذي دب بين أفراد البيت الغزنوي الحاكم، وظهر الخطر الغوري واضحاً في عهد حكم السلطان بهرام شاه بن مسعود الذي كان قد قتل زعيم الغور محمد بن الحسين أثر مؤامرة دبرها ضده، فقام أخوه سورى ابن الحسين بالانتقام لمقتل أخيه، فسار على رأس جيش كبير إلى غزنة عاصمة الدولة الغزنوية رأساً ونجح في انتزاعها من يد السلطان بهرام شاه الذي انسحب إلى البلاد الغزنوية الهندية، ونجح بمساعدة أهل غزنة في هزيمة قوات سورى وقتله وفرار قواته من غزنة 543هـ/1148م، واسترداد الغزنويين لعاصتهم غزنة.

ولما قتل سورى خلفه في حكم دولة الغور أخوه علاء الدين الحسين

الذي جهز جيشاً لغزو غزنة والانتقام لمقتل أخيه ونجح في ذلك، وعاد إلى بلاده بعد إقرار الأمر له في غزنة، وترك أخاه سيف الدين نائب عنه على غزنة، ولكن أهل غزنة وبهرام شاه عاودوا الكرة سنة 547هـ/1055م، واستردوا غزنة من الغور مرة ثانية.

على أن بهرام شاه توفي سنة 530هـ، وخلفه ابنه خسرو شاه، وكان علاء الدين ملك الغور قد أعد العدة لاسترداد غزنة والانتقام من أهلها، فلما علم خسرو بذلك ترك غزنة وهرب إلى لاهور ، الأمر الذي سهل على علاء الدين فتح غزنة والانتقام من أهلها، فأباح المدينة لجنده ثلاثة أيام كاملة لقى أهلها فيها سوء العذاب، وتحطمت على يد جنوده جميع المباني والمنشآت التي شيدها سلاطين الغزنويين.

لما توفى علاء الدين ملك الغور خلفه في حكم غزنة أخوه غياث الدين الذي نجح في طرد الاتراك الغز منها وعزم على استئصال شأفة آل سبكتكين والاستيلاء على كل

ما تبقى من ممتلكاتهم، فأرسل أخوه شهاب الدين إلى البلدان الغزنوية غير الهندية واستولى عليها وتوجهت قواته إلى لاهور آخر معاقل الغزنويين ودافع عنها خسرو شاه ورجاله، لكن قوات الغور انتصرت عليهم واستولت على المدينة وقبضت على السلطان خسرو شاه وأرسلوه وابنه ملكشاه إلى ملك الغور ليسجنا هنالك في بعض القلاع، وكان ذلك سنة 582هـ/1186م.

وهكذا انتهت الدولة الغزنوية بعد أن ظلت تحكم لأكثر من قرنين، وكانت نهايتهم على يد دولة الغور وعلى يد أميرها السلطان غياث الدين وورثت بذلك الدولة الغورية ممتلكات الدولة الغزنوية في الهند وكان اتجاه هذه الدولة هندياً خالصاً، وما زالت تقوم بدورها في مد نفوذ العالم الإسلامي وتمكينه في الهند حتى جاء المغول فأسقطوها، ثم قاموا بأمر هذا الثغر الهندي بعد أن أسلموا، وعلى أيديهم أمتد الإسلام في الهند وتدعم، وكانوا أساس العالم الإسلامي الهند الذي تعبر عنه الآن دولة باكستان.

النظم والحضارة في الدولة الغزنوية:

1- نظم الحكم:

كانت الدولة الغزنوية من الناحية القانونية تابعة للخلافة العباسية غير أن هذه التبعية كانت أسمية فقط، إذ حكم بنو سبكتكين دولتهم مستقلين تماماً عن بغداد، وظلوا يتوارثون الحكم في هذه الدولة حتى نهايتها.

أما عن قاعدة الوراثة في الحكم فلم تسر على نظام ثابت، ذلك أن بعض سلاطين الغزنويين، قد عهدوا بالحكم إلى غير الوريث الأحق، فقد عهد سبكتكين بولاية العهد لابنه اسماعيل على الرغم من أن ابنه محمود كان الأكبر سناً وكان صاحب الحق، كذلك فعل السلطان محمود إذ عهد إلى ابنه محمد وأغفل ابنه الأكبر مسعود، وقد أدى ذلك الى حدوث الكثير من المنازعات حول الوصول إلى

الحكم بين أبناء بيت سبكتكين، ومهما يكن من أمر هذه المنازعات فقد ظل هذا البيت الغزنوي العريق قابضاً على زمام الأمور في الدولة الغزنوية حوالي قرنين من الزمان وفشلت محاولات العسكرين خلال تلك الحقبة في انتزاع الحكم منهم.

كان السلطان الغزنوي حاكماً مطلقاً في دولته، مصدراً لكل سلطاتها واستعان في إدارة هذه الدولة بعدد من الموظفين من أهل الكفاءة والمقدرة، ومن أبرز هؤلاء الرجال: الوزير وكبير الحجاب والمشرف على المملكة وقائد الجيش، وكان للدولة الغزنوية وزير واحد فقط، ومن أشهر وزراء الغزنويين: الوزير أحمد حسن الميمندي والوزير عبد الرزاق بن أحمد حسن الميمندي.

ومن اختصاصات الوزير في الدولة الغزنوية في إدارة شؤون الدولة الخارجية والداخلية وقد تنسد إليه كذلك الشؤون العسكرية.

وكان تعيين الوزير يخضع لرسوم معينة فبعد أن يقسم القسم المعهود يأمره السلطان بالذهاب إلى خزنة الملابس لارتداء الخلعة المخصصة له، وتتكون من قباء ناصع البياض عليه نقوش فضية دقيقة الطراز وسلسلة فخمة ومعطف مرصع بالفيروز.

ويساعد الوزير في عمله عدد من الحجاب يرتدون السواد وعدد من المساعدين والكتاب والنساخ.

الدولة الخوارزمية (490–628هـ)

أسس الدولة الخوارزمية توشتكين أحد رجال الأتراك في بلاط السلطان السلجوقي ملكشاه، وكان يشغل وظيفية الساقي، وأخذ في الترقي في سلك الوظائف بالبلاط السلطاني، وقد قام توشتكين بتربية ابنه محمد تربية طيبة وأدبه فأحسن تأديبه، وقد وقع أختبار أحد قادة السلطان السلجوقي بركيا روق عليه وولاه حاكماً على اقليم خوازم، ولقبه خوارزمشاه سنة 490هـ، وأخذ محمد خوارزمشاه يعمل على ثبيت حكمه في خوارزم، وحكم بين الناس بالعدل وقرب إليه أهل العلم والفضل فازداد حب الناس له، ولما تولى سلطنه الأتابكة

السلطان سنجر السلجوقي أقر محمد خوارزمشاه على اقليم خوارزم وأعمالها، وكانت العلاقة طيبة بين الحاكمين، مما أتاح الفرصة لمحمد أن يوسع أملاكه على حساب جيرانه بسبب شجاعته وكفايته، ولمّا توفي محمد خلفه في حكم خوارزم ابنه أتسز، الذي كان على علاقة طيبة بالسلطان السلجوقي سنجر، وقد استغل أتسز هذه العلاقة في توسيع رقعة دولته على حساب الدولة السجلوقية المتداعبة، منتهزاً فرصة سيطرة قبائل الخطا على بلاد ما وراء النهر وانشغال السلاجقة بمقاتلة هذه القبائل، فاستولى أتسز على خراسان وجلس على عرش سنجر واستولى على أمواله وجواهره سنة 536هـ/1142م، وقطع الخطبة والدعاء للسلطان سنجر وأعلن استقلال دولته الخوازمية، لكن سنجر لم يستسلم فقاتل قوات أتسز ونجح بالفعل في أن يسترد من أتسز إقليم خراسان سنة 538هـ، وأجبر سنجر أتسز على الاعتراف بسيادة الدولة السلجوقية، وولي حكم الدولة الخوارزمية بعد أتسز ابنه تكش(ت596هـ). على أن الدولة الخوارزمية ازدادت قوتها وعاد لها استقلالها عن دولة السلاجقة بعد أن ضعفت الدولة السلجوقية بعد وفاة سنجر، وضمت الدولة الخوارزمية إليها البلاد التابعة للسلاجقة، واستطاع علاء الدين محمد بن تكش، الذي خلف والده في حكم الدولة الخوارزمية سنة 596هـ، أن يهزم قوات آخر سلاطين السلاجقة طغرك الثالث، على مقربة من الري وأن يقتله في المعركة ويرسل رأسه للخليفة العباسي، وأن يستولى على أصفهان والري، آخر ما كان في يد السلاجقة من بلاد. وبذلك قضى الخوارزميون على دولة السلاجقة في العراق.

وقام علاء الدين خوارزمشاه بتوسيع دولته واستولى على معظم خراسان كذلك استطاع أن يهزم قبائل الخطا التركية سنة 606هـ/ 1209م، ويبسط سيطرة دولته على بلاد ما وراء النهر، واستولى كذلك على اقليم كرمان ومكران والأقاليم الواقعة غرب نهر السند، كما استولى على ممتلكات الغور في أفغانستان، وبذلك بلغت الدولة الخوارزمية أقصى اتساع في عهد السلطان علاء

الدين خوارزمشاه، إذ امتدت من حدود العراق غرباً إلى حدود الهند شرقاً، ومن شمال بحر قزوين وبحر آرال شمالاً إلى الخليج العربي والمحيط الهندي جنوباً، لقد كان العباسي الناصر يخشى بأس الدولة الخوارزمية؛ لأن خوارزمشاه كان يطمع في بغداد فسعى الخليفة إلى تدبير المؤامرات والدسائس ضده، بل تقاعس عن نصرته حين دهم بلاده الخطر المغولي، ولكن إذا كان الخليفة قد تقاعس عن نصرة خوارزمشاه ضد الخطر المغولي فإن ذلك كان رغماً عنه بسبب ضعفه وسوء حال الجيش العباسي آنذاك وعلى هذا لا يمكننا أن نصدق ما يشيعه بعض المؤرخين من أن الخليفة العباسي الناصر لدين الله حرض المغول على غزو أعدائه الخوارزميين، وقد قال هؤلاء أن السلطان الخوارزمي جلال الدين منكبرتى قد إتهم الخليفة العباسي بأنه يحرض المغول ضده، وكيف لنا أن نصدق تلك الشائعات في وقت يعلم فيه الخليفة أن غزو المغول للدولة الخوارزمية سوف يؤدي بالقطع إلى قرب الخطر المغولي من الخلافة العباسية وقد يهاجم المغول بغداد نفسها، وهذا ما قد حدث بعد ذلك، وأن الدولة الخوارزمية هي خط الدفاع الأول للعراق العباسي.

ولقد كان من سوء حظ الدولة الخوارزمية الإسلامية الكبرى أن قامت إلى جوارها دولة المغول الوثنية التي أرادت التوسع على حساب الأراضي الإسلامية، وكان لابد من المجابهة بين القوتين، وبالفعل حدثت المجابهة، بعد أن توافر السبب المباشر لهذه المواجهة.

فقد حدث أن وفد جماعة من تجار المغول من رعايا جنكيز خان، كبير المغول، إلى مدينة أترار في الدولة الخوارزمية لشراء بعض السلع، وكان يلى أترار هذه والي من قبل الخوارزميين هو ينال خان، وقد أرتاب ينال خان في أمر هؤلاء التجار المغول، فأرسل بشأنهم إلى السلطان محمد خوارزمشاه يخبره بأمرهم، فأمره السلطان بالقبض عليهم وإعدامهم خشية أن يكنوا جواسيساً لحاكم المغول جنكيز خان، ولقد أدى هذا الحادث إلى

توتر العلاقات بين الدولتين، فأرسل السلطان الخوارزمي جواسيسه ليتبينوا له ويستطلعوا مدى قوة المغول، فعادوا إليه وأخبروه بعظم هذه القوة مع كثرة العدد والصبر على القتال.

وقد حدث أن أرسل جنكيز خان إلى السلطان الخوارزمي يطلب منه تسليم حاكم أترار له حتى يحاكمه على ما فعل حقناً للدماء ومنعاً لوقوع الحرب بين الطرفين، إلا أن السلطان الخوارزمي رفض طلب حاكم المغول، وزاد على ذلك في أنه أمر بقتل رسل حاكم المغول سنة 615هـ/ 1218م، وقد كلف هذا العمل الأهوج من سلطان الخوارزميين شعب خوارزم البحور من الدماء، لأن إنتقام المغول كان شديداً وثأرهم كان فادح الثمن، ولكنا نستطيع أن نقرر أن الحرب بين الدولتين كانت لا محالة واقعة سواء حدثت مذبحة أترار أو لم تقع، ذلك لأن دولة المغول كان لا بد لها وأن تتوسع على حساب الدولة الخوارزمية وكان عليها أن تجد أو تخلق أي مبرر لهذا التوسع، وهذا ما حدث منهم بعد مذبحة أترار، فلقد هاجمت حشودهم بلاد الدولة الخوارزمية في أعداد كبيرة، واتسمت غاراتهم بالوحشية والهمجية وتدمير المدن والقرى وقتل كل من يقابلهم من رجال ونساء وأطفال، واحراق كل ما يقف في طريقهم ويعيق حركتهم فأشاعوا الخراب والدمار والخوف والهلع في كل مكان.

أعد جنكيز خان أربعة جيوش لمهاجمة الخوارزمية، أحدهم بقيادة إبنه وأحرقوا مساجد ومدارس المدينة التي أباحوها لجنودهم.

ومن بخارى إنطلقت جحافل المغول إلى سمرقند، ودار فيها قتال شديد بين الطرفين، ولما يئس أهلها من النصر أعلنوا التسليم بعد أن أخذوا الأمان من المغول، لكن المغول بعد أن أعطوهم الأمان طلبوا من أهل البلدة تسليم أسلحتهم وأمتعتهم ودوابهم، ففعلوا تجنباً للقتل، إلا أن المغول، كعادتهم وحبهم لسفك الدماء، نقضوا الأمان وأعملوا السيف في رقاب الأهلين حتى أفنوهم عن آخرهم، ودخلوا المدينة ونهبوا ما فيها وأحرقوا جوامعها ومدارسها، وكان ذلك سنة 617هـ/ 1220م.

وبعد أن استولى المغول على بخارى وسمرقند جهز جنكيز خان جيشاً قوامه عشرين ألف مقاتل لتعقب خوارزمشاه، الذي كان يتنقل من بلد لآخر وجنود المغول تطارده حتى استقر به المقام في اقليم مازندان، ولجأ إلى جزيرة من جزر بحر قزوين، وظل بها وهو مريض حتى توفى بها سنة 617هـ/ 1220م، وقبل وفاته أوصى بالسلطنة من بعده لابنه جلال الدين منكبرتى، تولى جلال الدين سلطنة خوارزم بعد أن اقتطع المغول منها أهم بلادها وهي بلاد ما وراء النهر واقليم مازندان، ثم اتجه المغول بعد ذلك للاستيلاء على مدينة الري، وفي الطريق أسروا الملكة تركان خاتون والدة السلطان علاء الدين خوارزمشاه، وكانت قد غادرت خوارزم على أثر تهديد المغول لها، واستولى المغول على ما كانت تحمله من مال وجواهر ومتاع.

ولقد باغت المغول مدينة الري، على حين غفلة من أهلها وملكوها ونهبوها وقتلوا رجالها وأطفالها وسبوا نسائها، وتقدموا بعد ذلك إلى همذان وقزوين واستولوا عليها عنوة، ونال أهلها من القتل ومرافقها من التدمير ما نال المدن السابقة التي سقطت تحت أقدام المغول.

وظل المغول يواصلون تقدميهم حتى وصلوا إلى تبريز واستولوا عليها، ودخلوا في معارك حامية مع أهالي بلاد الكرج سنة 617هـ واستولوا عليها بعد أن استولوا على بلاد ما وراء النهر جميعها، ولم يبق للمغول للقضاء نهائياً على الدولة الخوارزمية إلا السيطرة على خراسان وخوارزم.

وللاستيلاء على أقليم خوارزم وخراسان، أعد جنكيز خان لذلك جيشين كبيرين عبر أحدهما نهر جيحون وقصد مدينة بلخ من بلاد خراسان وقصد الجيش الثاني مدينة خوارزم.

وقد نجح الجيش الأول في الاستيلاء على مدن: بلخ، ومرو، ونيسابور، وطوس، وهراة، وقام هذا الجيش بفظائع كثيرة يشيب لها الولدان ضد أهل هذه البلاد، والتقى هذا

الجيش آخر الأمر بقوات السلطان جلال الدين منكبرتى عند غزنة ودارت هناك معركة حامية انتصر فيها خوارزمشاه وقوات الخوارزميين لأول مرة على المغول.

أما الجيش الثاني الذي اتجه إلى خوارزم فقد قوبل بمقاومة باسلة من أهلها، ودارت بين الفرقتين معارك ضارية، وصمد أهل خوارزم للقتال الذي دام خمسة أشهر، وقتل من الفريقين خلق كثير، واستنجدت القوات المغولية طالبة المدد من جنكيز خان فأمدهم بجيش كبير استطاعوا بواسطته أن يستولوا على خوارزم بعد عناء شديد، وبعد أن أمتلك المغول خوارزم انتقموا من أهلها، فقتلوا كل من بقى فيها من أهلها، وزيادة في الامعان فتحوا ماء نهر جيحون على المدينة وأغرقوها، وقد وصف أحد الكتاب حال خوارزم آنذاك فقال:(فمن اختفى من أهلها من النار أغرقه الماء، ومن سلم من الماء قتله الهدم، فأصبح البلد خراباً يباباً كأن لم يغن بالأمس).

لم يستسلم جلال الدين منكبرتى لهجمات المغول بل تصدى لمقاومتهم، برغم استيلائهم على أكثر من نصف دولته، لكن جلال الدين استطاع لم شعث جيشه المبعثر في البلدان الخوارزمية، وأقام في غزنة بعد أن هزمت قواته بها قوات المغول، لأول مرة، واستطاع أن يجمع جيشاً قوامه ستين ألف مقاتل، استطاع أن يقابل به جيشاً ثانياً أرسله جنكيز خان للاستيلاء على غزنة ولكن الجيش الخوارزمي انتصر للمرة الثانية على الجيش المغولي عند غزنة، فانهزم المغول شر هزيمة، وقتل منهم المسلمون أعداداً كبيرة، وكان لهذا النصر أهمية كبيرة في ذلك الوقت في البلاد الإسلامية التي مزقتها هزائم المغول المتكررة لهم، فارتفعت روح المسلمين القتالية، وأدركوا أن جيش المغول كغيره جيش يهزم، وكان جنكيز خان يزعم أن جيشه لا يقُهر ولا يُهزم.

أرسل جنكيز خان لثالث مرة، جيشاً كبيراً إلى غزنة للقضاء على جلال الدين وقواته الخوارزميين، ولقد حالف النصر أول الأمر جيش الخوارزمية، فقتلوا الكثير من المغول ولكنهم بعد ذلك انشغلوا بالغنائم وتنازع جند السلطان حولها والحرب لم تنته بعد،

وقد أدى ذلك إلى انقسام خطير في الجيش الخوارزمي عجز السلطان عن تداركه، وفارق فريق الجيش الخوارزمي المعركة بقيادة قائد يدعى بغراق واتجه بقواته إلى بلاد الهند، وحاول جلال الدين عبثاً أن يثنيه عن عزمه، فضعف بذلك جيش جلال الدين مما أعطى المغول الفرصة لإعادة تجميع قواتهم وإعادة الكرة على القوات الخوارزمية وهزيمتها هزيمة كبيرة في معركة على حافة نهر السند كمنت فيها القوات المغولية للقوات الخوارزمية فقتل الكثير منهم، وحلت الهزيمة بجلال الدين، ووقع ابنه الطفل(8 سنوات) أسيراً في يد المغول وقتله جنكيز خان بيده، كذلك أغرقت أمه وزوجته في نهر السند.

وعبر جلال الدين، بعد المعركة، نهر السند مع أربعة آلاف من رجاله متجهين إلى الهند، حفاة عراة، وقد استرد المغول، بعد المعركة، هيبتهم وقوتهم واستولوا على غزنة التي كانت خالية من الجند، وقتلوا أهلها وسبوا نساءها ودمروها تدميراً وتركوها خراباً ينعق فيها البوم والغربان.

اعتزم جلال الدين استرداد قوته في بلاد الهند، فاستعان بسلطان دهلى ألتمش، لكن سلطان دهلى خاف من نفوذ جلال الدين الذي قضى في الهند ثلاث سنوات اشتبك فيها مع سلطان دهلي في عدة معارك، ولم يكن جلال الدين يهدف من لجوئه إلى الهند البقاء فيها ولكنه هدف تجنب الاشتباك مع المغول حتى تعود إليه قوته ويعود إلى بلاده، وقد واتته الفرصة للانتقام من المغول وشن الحب ضدهم واستعادة ملكه السليب حين مات جنكيز خان، وأعقب موته انسحبت القوات المغولية الرئيسية التي كانت تحتل أقاليم الدولة الخوارزمية إلى مواطنها الأصلية.

ففي سنة 622هـ/ 1125م عبر جلال الدين نهر السند إلى فارس واشتبك هناك مع المغول في عدة معارك انتصر فيها، واستعاد كثيراً من بلاده المحتلة من القوات المغولية، فاستعاد اقليم خوارزم وغزنة وفارس وخراسان ومازندران، على أن بلاد ما وراء النهر ظلت في يد المغول.

على أن هذه الانتفاضة للدولة الخوارزمية لم تستمر، فسرعان ما عاد المغول إلى قوتهم ووحدتهم في عهد أقطاي الذي خلف جنكيز خان في قيادة المغول، واستطاع بجيش كبير سار على رأسه أن ينتزع بلدان: الري وهمذان سنة 628هـ/ 1231م .، وطارد المغول السلطان جلال الدين وتعقبوه في موقان وتبريز وأذربيجان، فاتجه إلى آمد وهزم المغول هناك، وظل السلطان يتنقل من بلد إلى آخر والمغول تلاحقه حتى وصل إلى جبال كردستان فقتله هنالك أحد رجال الأكراد، بعد أن تعرف عليه ثأراً لمقتل أخ له على يد جلال الدين، وكان قتل جلال الدين سنة 628هـ/ 1231م، نهاية لهذا السلطان الشجاع، الذي زالت بوفاته، دولة من أعظم الدول التي حكمت أقاليم الدولة الإسلامية في المشرق وهي الدولة الخوارزمية، وهي التي بسقوطها سقط الحاجز والمانع الذي كان يحمي الدولة العباسية في العراق، وبسقوط هذا الحاجز توجه المغول، في إعداد كالجراد، ليقضوا على الخلافة العباسية على يد هولاكو، ويهاجموا عاصمتها بغداد سنة 656هـ/ 1258م ويقتلوا أخر خلفائها في العراق الخليفة المستعصم بالله.

الفصل الثاني

البيئة الجغرافية والاجتماعية لبلاد المغرب العربي

أولاً المغرب قبل التحرير العربي الإسلامي:

التعريف ببلاد المغرب:

المراد بلفظ المغرب هو كل ما يقابل المشرق من بلاد. وبلاد المغرب هي كل الأقاليم الواقعة غرب مصر ابتداء من الإسكندرية حتى طنجة على المحيط الأطلسي.

وقد اختلف الجغرافيون والمؤرخون في تحديد مدلوله: فجعله بعضهم يشمل بلاد شمال أفريقيا فضلا عن اسبانيا الإسلامية (الاندلس) وجميع الممتلكات الإسلامية في الحوض الغربي للبحر المتوسط مثل صقلية وجنوب إيطاليا وجزيرتي سردانية وقورسيقا وجزر البلبيار أو الجزر الشرقية.

ويذهب فريق آخر من المؤرخين إلى أن مصر أيضاً ضمن مجموعة البلاد الغربية لكونها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة الغربية في الحقبة الإسلامية الأولى.

وفي أيام العباسيين زاد مدلول المغرب اتساعا فصارت الشام أيضا ضمن المغرب إذ إن العباسيين قسموا دولتهم إلى قسمين وهما المغرب ويشمل الشام ومصر وأفريقية وما يليها غربا، والمشرق ويشمل بلاد فارس وما يليها شرقا.

ثانياً: اقسام بلاد المغرب:

منذ القرن الخامس الهجري قسمت بلاد المغرب إلى ثلاثة أقسام كبيرة بحسب قربها أو بعدها عن مركز الخلافة في المشرق اداريا.وهي:

1- برقة وطرابلس، وهما الاقليمان الاول من ناحية الشرق لبلاد المغرب.
2- المغرب الأدنى: ويسمى أيضا (أفريقية) يشمل المنطقة الممتدة من غرب مصر إلى الأجزاء الشرقية من الجزائر، وشهد ثلاث عواصم في العصور الوسطى هي القيروان ايام حكم الأغالبة، ثم المهدية أيام العبيديين ثم تونس منذ عهد الحفصيين إلى اليوم ويسمى بالمغرب الادنى لأنه اقرب إلى دار الخلافة من المشرق.
3- المغرب الأوسط: ويشمل المنطقة الممتدة من مدينة بجاية حتى وادي ملوية وكانت عواصمه في العصور الوسطى كلا من مدينة تاهرت في عهد الدولة الرستمية، ومدينة أشير أيام الدولة الزيرية الصنهاجية التي خلفت العبيديين في حكم المغرب.
4- المغرب الأقصى: ويشمل المنطقة التي تلي المغرب الأوسط حتى المحيط الأطلسي وتعد امتدادا طبيعيا له، والمغرب الأقصى يعرف اليوم باسم المملكة المغربية أو المغرب ويمتد ما بين وادي ملوية وتلمسان شرقاً حتى المحيط الاطلسي غرباً وسمي بالمغرب الاقصى لبعده عن مركز الخلافة في المشرق.

ثالثاً : البيئة الاجتماعية لبلاد المغرب قبل التحرير

يمكننا أن نقسم سكان بلاد المغرب إلى الأقسام الرئيسية التالية:

1- البربر:

إن كلمة (بربر) التي أطلقت على سكان المغرب فهي: كلمة دخيلة أطلقها عليهم من غلب عليهم من الأمم كالرومان والاغريق، أما السكان الاصليون فلا يسمون أنفسهم بالبربر، فلكل قبيلة اسمها الخاص بها، والظاهر أن كلمة بربر اسم صوت جاء من أن البربر يتحدثون أصواتا غير مفهومة تغلب عليها (الراء والباء) حينما يتكلمون أي بمعنى انهم (يبربرون) في كلامهم فقيل لهم (ما اكثر بربرتهم).

ويقسمهم المؤرخين إلى قسمين كبيرين على أساس مدى علاقتهم بالتحضر والتصحر وهما :

أ-البتر:

وهم الرحل، سكان البادية الذين يعيشون على الرعي والتنقل وأهم قبائلهم زناتة ببطونها جراوة ومغراوة ومكناسة وبني يفرن وبني مرين وبني زيان وبني وطاس وهم منتشرون في جميع أنحاء المغرب وانتقل قسم منهم إبان الفتح إلى الأندلس.

ب -البرانس:

هم المستقرون الذين يعيشون على الزراعة وهم قبائل عديدة أهمها قبيلة صنهاجة ببطونها وفروعها الممتدة إلى مختلف أنحاء المغرب، فهنالك صنهاجة الشمال في المغرب الأدنى والأوسط، وهناك صنهاجة الجنوب التي تعيش في صحراء شنقيط (موريتانيا الحالية) ويعرف أفرادها بالملثمين وهم رعاة متنقلون.

وجد الباحثون الفرنسيون تفسيراً آخر لهذا التقسيم أساسه نوع اللباس التي كانت تلبسه هذه الجماعات القبلية وهو البرنس اللباس القومي المعروف عند المغاربة فالبرانسة

في اعتقادهم : هم الذين يلبسون البرانس بغطاء الرأس، أما البتر هم الذين يلبسون هذا الزي أبترا سمو بترا (جمع بتر).

وكانت قبائل البتر والبرانس تدين بأديان مختلفة، فالمسيحية انتشرت بين المستقرين منهم في المناطق والمدن الساحلية التي كانت خاضعة أو مجاورة للسيادة البيزنطية.

كذلك انتشرت الديانة اليهودية منذ القدم في داخل البلاد حيث انتشر اليهود كتجار ومرابين، إما الديانة الوثنية فقد كانت منتشرة بين معظم تلك القبائل ولا سيما في البوادي والجبال والصحراء.

2- **الأفارقة:** وهم أقلية سكانية كانت تدين بالنصرانية وعرفت بخدمتها للروم الذين أخذوا عنهم كثيراً من عاداتهم وتقاليدهم، واعتنق بعضهم الإسلام بعد عمليات التحرير العربي لبلاد المغرب مع احتفاظهم بلغتهم الخاصة وعاداتهم.

3- **الروم البيزنطيون:** وهم الطبقة الحاكمة للشريط الساحلي والذين لم يتوغلوا للداخل نتيجة صعوبات الحياة فضلاً عن رفض القبائل لسلطة المستعمرين وبمرور الوقت أستقر معظمهم واشتغلوا بالتجارة والزراعة.

4- **السودان:** وجودهم على أرض المغرب قديم لا تحدده حقبة زمنية معينة، بل يرتبط بطبيعة علاقة المغرب الأزلية بأمم السودان.

5- **اليهود:** وهم اقلية من سكان المغرب واغلبهم كانوا يمارسون التجارة وأعمال الصناعة وخاصة صناعة الحلي الذهبية.

رابعاً : انتشار الإسلام في بلاد المغرب العربي

الدوافع والأهداف

إن حجم الدوافع والأهداف التي حفزت المسلمين على تحرير بلاد المغرب في مدة زمنية بلغت سبعين عاما (20– 90 هـ) كبيرة جداً ومتنوعة نذكر منها:

1–دافع الجهاد: أن دافع الجهاد في نشر رايةالإسلام في تلك البلاد تأتي على رأس الدوافع التي حفزت العرب المسلمين للاندفاع من مصر باتجاه المحيط الأطلسي غرباً، فالقضاء على الاحتلال البيزنطي كان يعني تيسير نشر الدعوة الإسلامية ووضع حد لجبروت البيزنطيين.

2–إن بقاء الروم في هذا الجزء من أفريقيا كان يضايق وجود العرب في مصر وإقرار الإسلام بها، لهذا اندفع عمرو بن العاص والي مصر، نحو برقة سنة 21هـ التي صالح أهلها على جزية قدرها ثلاثة عشر ألف دينار، وطرابلس التي فتحها عنوة سنة 22هـ.

3–تجسدت في رغبة العرب المسلمين في تطويق القسطنطينية من جهة الغرب بغزو ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية من الشمال الأفريقي وغرب البحر المتوسط وذلك باحتلال صقلية وجنوب إيطاليا كي يكون الإجهاز على الإمبراطورية البيزنطية آتيا من المغرب والمشرق.

4–قرب دمشق عاصمة الأمويين من البحر المتوسط واعتناء الأمويين الشديد ببناء الأسطول العربي وسعيهم لتوفير مادته الصناعية بشكل مبكر منذ ولايتهم لبلاد الشام.

قادة تحرير بلاد المغرب وأهم المعارك:

مرت عمليات تحرير المغرب بمرحلتين هما:

1– مرحلة البعوث والسرايا والحملات الاستطلاعية.

2– مرحلة الجيوش المنظمة.

الدويلات والامارات الإسلامية في المغرب العربي:

1-**الدولة المدارية** : أو دولة بني واسول (140- 349هـ)

هي دولة قامت في أقليم المغرب الاقصى، وعاصمتها مدينة سجلماسة. ومؤسس الدولة المدرارية كان سودانياً يدعى عيسى بن يزيد المكناسي الذي بنى العاصمة سجلماسة، وأمر بغرس النخيل فيها ولكن يبدو أن عيسى بن يزيد اخذ يستأثر بالأموال في أواخر ايامه مما أثار معارضة مواطنيه، فيروي البكري أن زعيم المعارضة واسمه ابو الخطاب الصفري، قال لأصحابه في مجلس عيسى بن يزيد : ((السودان كلهم سراق حتى هذا! وأشار إلى عيسى، فأخذوه وشدوا وثاقه إلى جذع شجرة في الجبل بعد أن طلوه بالعسل، وتركوه حتى قتله البعوض والنحل والنمل.. وولى بعده قاتله ابو الخطاب الصفري الذي تقرب إليه حداد من ربض قرطبة اسمه أبو القاسم بن واسول كان قد صنع سلاحاً جديداً اعجب أبا الخطاب به فقربه إليه حتى صار هو المدبر لشؤون الدولة. فلما توفى أبو الخطاب ولى مكانه أبو القاسم بن واسول الذي تلقب بالمدرار، ويعتبر أبو القاسم هو المؤسس الحقيقي لهذه الدولة بدليل أنها سميت باسمه فعرفت بالدولة المدرارية أو دولة بني واسول، وقد استمر حكمها في يد أبنائه من بعده إلى ان قضى عليها قائد الفاطميين جوهر الصقلي سنة 349هـ.

بناء سجلماسة:

موضع سجلماسة يقع في شمال وادي درعة على طرف الصحراء جنوباً وكان يسكن تلك المفازة قبائل الملثمين الصنهاجية ومنطقة سلجماسة تعرف باسم تافللت اما المدينة القديمة(الريساني حاليا) فلم يبق لها الا الذكر والمعروف أن مدينة سجلماسة لم تكن قديمة بل محدثة مثلها مثل تاهرت اما عن باني المدينة فهو رجل سوداني الأصل اسمه عيسى بن يزيد الأسود الذي تم اختياره للامامة سنة 140هـ.

إن اختيار رجل من السودان للإمامة هنا يبين تطبيق مبدأ اللاعنصرية واللاعصبية للإمام وذلك حتى يمكن التخلص من الإمام اذا ما حاد عن العدل وهذا ما ستفعله جماعة سجلماسة بأمامها عيسى بن يزيد.

إن سجلماسة لم تكن بأكثر من قرية صحراوية وظلت المدينة بعد التخلص من عيسى بن يزيد على شكلها هذا على أيام أبي القاسم سمغون بن واسول (155– 168هـ / 772– 784م) ثم ابنه الياس بن أبي القاسم (168– 174هـ/ 784– 790– 791م).

وعلى أيام الرابع من أمراء سجلماسة وهو اليسع بن أبي القاسم الذي طالت إمارته إلى ما يزيد على ثلث قرن (174– 208هـ/ 790– 823م) اتخذت سجلماسة شكل العاصمة فلقد عرف اليسع بن سمغون بنشاطه وجده في سبيل تقوية الإمارة الصفرية وتوسيع رقعتها حتى وصف بأنه كان جبارا عنيداً أخضع قبائل البربر المحيطة بسجلماسة ممن لم تكن قد خضعت لهم وادخلها في طاعته وانتشر سلطان اليسع حتى وادي درعة وبفضل ما كان يأتيه من الأموال وخاصة ما كان مفروضاً على مناجم درعة (خمس معادن درعة) أزداد العمران في سجلماسة فاتخذت المدينة شكل العاصمة إذ جعلها اليسع مقراً له وبني فيها القصور والدور وخزانات المياه (المصانع) وبذلك أتم بنائها وتشييدها.

وكان من الطبيعي ان يحيطها– بعد ذلك– بسور قوي حتى يأمن فيها من عدو يطرقه ولقد بنى السور بالحجارة من أسفله وبالطوب من أعلاه فكان لمدينة سجلماسة (اثنى عشر) بابا بعد ان عظمت المدينة في عهد المرابطين الذين وجهوا جهودهم نحو بلاد السودان التي كانت سجلماسة بابها.

أما عن تاريخ بناء السور فيحدد بالسنة ال 34 (الرابعة والثلاثون) من ولاية اليسع أي في السنة الأخيرة من حكمه وهي سنة 208هـ. وهذا يعني احد شيئين: اما أن السور

قد تم بناؤه خلال سنة واحدة (سنة 208هـ) وأما أن يكون اليسع قد بدأ البناء وأكمله بعده ابنه مدرار (سنة 208– 253هـ/ 823– 867م) الذي اتخذ لقبه المنتصر.

أي قبيل الوقت الذي بدأ اليسع ينشئ فيه السور(سنة 208هـ) وقعت في قرطبة الفتنة المشهورة بوقعة الربض والتي انتهت بأن خرب الحكم ابن هشام ذلك الربض وطرد أهله من الاندلس فسار كثير منهم إلى المغرب والمعروف أن وأولئك الربضيين

الذين ساروا الى المغرب وصلوا في الوقت الذي كانت تنشأ فيه مدينة فاس وانهم اشتركوا في اعمارها واتخذوا لهم حيا فيها سمي باسمهم فهو (عدوة الأندلسيين) وان اليسع بن أبي القاسم سمغون رحب بهم واستعان بهم في بناء السور سنة ٢٠٨هـ ولكنه مات في نفس السنة قبل ان يتم السور فأكملوه على عهد ابنه مدرار المنتصر وعن هذا الطريق يمكن تفسير التصاق اسم مدرار بالربضيين.

إن حركة العمران الكبيرة التي عرفتها سجلماسة أيام اليسع من بناء القصور والدور والمصانع والتي جعلت المدينة بحق عاصمة الجنوب تمت بمشاركة الأندلسيين من أهل قرطبة.

٢– الامارة الرستمية (144–296 هـ):

هي امارة قامت في اقليم المغرب الأوسط ، أسسها عبد الرحمن بن رستم وتلقب حكامها بلقب الأمام ، تقول بعض الروايات أن ابن رستم بنى مدينة تاهرت عقب فراره امام القوات العباسية .

والظاهر أن المقصود بتاهرت هنا ليست المدينة بل ارض تاهرت أي إقليمها حيث يحدد اختطاط تاهرت الرستمية في سنة 161هـ أي بعد أكثر من خمس عشرة سنة من فرار عبدالرحمن من القيروان وذلك امر مقبول . وهذا لا يعني أن تاهرت لم تكن موجودة قبل ذلك التاريخ فالمدينة قديمة ترجع إلى العصر الروماني ثم البيزنطي.

أما عن السبب في اختيار منطقة تاهرت مركزا للدعوة فيرجع اولا الى انها منطقة داخلية منطوية على نفسها بمعنى انها توجه أنظارها نحو الداخل وتدير ظهرها للبحر وهذا يمثل موقعا استراتيجيا ممتاز بالنسبة لجماعة يحيط بها الأعداء من كل جانب وترجو أن تعيش في امان .

بعد أن بويع عبدالرحمن بن رستم بالإمامة في سنة160هـ كان من الطبيعي أن يتخذ مقرا له يكون مركزا للدولة الناشئة ووقع الاختيار على منطقة تاهرت للأسباب التي بينها : من ((استراتيجية)) المكان الجبلي وتوفر العصبية البترية وغنى الموقع بالماء والمراعي هذا ولا بأس من أن يكون ابن رستم قد ارتاد المكان من قبل وانه استحسنه بعد أن أقام فيه عقب فراره من القيروان، وهكذا نجح عبد الرحمن بن رستم.

هي دولة خارجية أسسها عبد الرحمن بن رستم بن بهرام الفارسي عام 160 هـ، ويذهب ياقوت الحموي وابن عذارى المراكشي إلى أن رستم هذا ينسب إلى أبيه بهرام مولى عثمان بن عفان ، بينما يرى ابن خلدون أن عبد الرحمن بن رستم من أبناء رستم أمير فارس بالقادسية.

وذكر أنه قدم إلى إفريقية مع العرب الفاتحين ، حيث تولى عبد الرحمن بن رستم على القيروان من قبل أبي الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري .

ولقد ساهم عبد الرحمن بن رستم في صد الحروب التي قامت في المنطقة ضد بعض الخوارج الذين التفوا حول عبد الرحمن بن رستم في تاهرت ، وبايعوه بالإمامة عام 160هـ، فقوى نفوذه بهم ، وانتشر سلطانه بين قبائل البربر ، كما ارتبط بدولة بنى مدرار في سجلماسة برابطة المصاهرة ، وهكذا توطد ملك عبد الرحمن .

وتعتبر الدولة الرستمية أبرز حركة استقلالية بالمغرب الأوسط، وقد شملت كافة أنحاء البلاد الجزائرية، عدا بعض المناطق جنوبا وشرقا، وإلى مؤسس هذه الدولة القاضي عبد الرحمن يرجع الفضل في تأسيس مدينة تاهرت التي جعلها عاصمة لملكه .

توفي عبد الرحمن بن رستم المؤسس عام 168هـ ، وتولى بعده ابنه عبد الوهاب ، الذي ثارت عليه جماعة من خوارج الإباضية، ولكن تمكن من هزيمتهم، كما خرجت عليه جماعة من الرستميين يعرفون باسم " النكار" ، وقد انتصر عليهم كذلك ، بفضل مصاهرته لشيخ قبيلة هوارة ، حيث انضمت إليه تلك القبيلة لواتة بأسرها ، وهكذا استطاع أن يوطد دولته ويؤمن ملكه.

وقد توفي عبد الوهاب عام 208هـ، وتولى بعده ابنه ميمون أبو سعيد، وحيث سار على نهج والده في سياسته ودهائه، فقد عقد معاهدة صداقة بينه وبين الأمير عبد الرحمن الأوسط في الأندلس، واتفقا على الوقوف في وجه العباسيين بالمشرق والأغالبة في تونس، وكان أن عاث ميمون في مدينة العباسية بإفريقية وخربها. ولقد ازدهرت عاصمة ملك الرستميين " تاهرت" على عهد ميمون، وعم الرخاء البلاد ، مما كان له تأثير على حياة الحاكم نفسه، فقد انغمس في الترف والملذات، الأمر الذي بدأت معه نهاية الدولة، لا سيما وأن الفرس الذين كان يعتمد عليهم ميمون قد اصطدموا بقبيلة زناتة، وكان لهذا تأثيره في تقويض أركان الدولة من جانب آخر .

توفي ميمون أبو سعيد الملقب بـ " أفلح " عام 258 هـ. وتولى أبو بكر الابن إمامة الدولة بعد أبيه ، وكان ميالا إلى الاهتمام بالأدب والشعر ، فوكل أمور سياسة الدولة إلى أخيه أبي اليقظان ، وصهره محمد بن عرفة ، ولكن الناس ضاقوا بهذا الوضع فثاروا عليه ، واضطروه إلى الخروج من العاصمة "تاهرت " ، ونصبوا أخاه أبا اليقظان مكانه ، وبقي هذا على رأس الدولة ، مدبرا لشؤونها على أكمل وجه حتى توفي عام 281هـ فبويع ابنه أبو حاتم يوسف بالامامة ،ولكنه لم يصمد أمام الأحداث أكثر من عام ، حيث اشتبك مع أهل " تاهرت " مرارا، وحيث كانوا قد أقاموا على الدولة يعقوب بن أفلح بن عبد الوهاب، ثم خلعوه بعد أربع سنوات، وقدموا عليه أبا حاتم أبي اليقظان، الذي بقى في الحكم قرابة ست سنوات، إلى أن صرعه بنو أخيه عام 294هـ وأخيرا تولى يقظان بن أبي اليقظان

الملك لفترة لم تتجاوز العامين، حيث قتله أبو عبد الله السيفي عام 296هـ، وبذلك سقطت دولة الرستميين بالجزائر. هذا ويذكر التاريخ عن الرستميين أنهم طائفة من الخوارج، ويرتكز مبدؤهم على الشورى وانتخاب الإمام، وقد اشتهرت دولتهم بالعدل، وشيوع الأمن في ربوع البلاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

أئمة الرستميين

- القاضي عبدالرحمن بن رستم 160هـ / 776م
- عبدالوهاب بن عبدالرحمن 168هـ / 784م
- الأفلح بن عبدالوهاب 208هـ / 817م
- ابو بكر بن الافلح 258هـ/871 م
- محمد بن الأفلح (ابو اليقظان) ؟ ؟
- يوسف بن محمد 281هـ / 894م
- يعقوب بن الأفلح 294هـ / 906م
- أبو حاتم بن أبي اليقظان
- يقظان بن أبي يقظان

فترات الاضطراب المتداخلة

294 - 296

العلاقات السياسية الخارجية للرستميين

علاقتهم بالعباسيين : ارتبطت علاقة الرستميين بالعباسيين بالبغضاء لعاملين:

1-كان العباسيون يعتبرون المغرب معبرا شرعيا لهم .

2-العداء التقليدي بين السنة والإباضية .

من هنا كان الخلفاء العباسيون يحاولون القضاء على الرستميين ، وعلى كل جهودهم.

وقد نجح العباسيون في القبض على أبي اليقظان بن أفلح ، حيث كان يقوم بمناسك الحج في مكة .

لكن العلاقات بين بغداد وتاهرت بقيت قائمة من الناحية الثقافية والفكرية ، فقد لجأ الأئمة الرستميون إلى بغداد ، كما أمدت البصرة الرستميين بالثقافة الإسلامية الإباضية.

علاقتهم بمصر:

كانت مصر على علاقة قوية مع الرستميين ، ذلك أن الكثير من المصريين كانوا على مذهب الإباضية – كما لعبت مصر دور الوسيط بين الشرق والغرب من جهة التجارة ، كما نقلت الحضارة المصرية إلى تاهرت.

بيد أن العلاقة توترت أيام الطولونيين على يد العباس بن طولون ، إلى أن انتهت بالقبض عليه ، وأعيد إلى مصر سنة 268 هـ .

علاقتهم بالأغالبة

لم تتسم هذه العلاقة بالطابع العدائي ، فقد عقد أول اتفاق بين الرسميين والأغالبة للتعايش السلمي سنة 197هـ/ 813م، ولكن هذا الاتجاه تعرض للضعف سنة 233 هـ / 853 م ببناء مدينة العباسية لمناهضة تاهرت ، بل لقد اندلعت الحرب بين الأغالبة والرستميين ، إلا أن العلاقة الثقافية ظلت باقية بين تاهرت والقيروان ، وتمثلت في هؤلاء العلماء والأدباء الذين كانوا يفدون من تاهرت إلى القيروان لتحصيل العلم .

علاقتهم بالأدارسة:

الأدارسة علويون معتدلون ، مجاورون للرستميين من جهة الغرب ، وهذا ما يتفق مع ميول الرستميين السياسية ، فبنيت علاقة الطرفين على حسن الجوار، ويمثل الرستميون الحراسة الشرقية لدولة الأدارسة .

لكن ساد الفتور هذه العلاقات أيام عبد الوهاب بن عبد الرحمن بن رستم ، لموقف قبيلة مغراوة وبني يقرن من بنى رستم ، وهاتان القبيلتان كانتا خاضعتين للأدارسة.

حضارة الرستميين:

إن مفهوم الحضارة هو اتساق المجتمع في إطار من النظام ، سواء من ناحية هيكل المجتمع ، أو نظام حكمه وإدارته ، أو من ناحية التطور العمراني أو الاقتصادي ، أو من الناحية الفكرية والفنية .

والدولة الرستمية كدولة عربية قامت في فترات ازدهار الدويلات الإسلامية في المشرق والمغرب ، لها ملامحها الغالبة من الفكر الإسلامي الصميم.

فمن ناحية نظام الحكم

اتسم نظام الحكم في مطلع قيام الدولة بالبساطة الشديدة ، فحاكم الدولة كان يسمى الإمام ، وهو لقب مشتق من الأباضية ، والأباضيون عملوا بنظرية الشيعة عن الإمامة الظاهرة والإمامة المستترة .

وكان الأباضيون يختارون الإمام وفق شروط معينة ، منها البيعة ، والعلم، وألا يكون الإمام من قبيلة لا تمنعه إذا حاد عن العدل ، ومنها الكمال الأخلاقي ، والنزاهة في التصرفات الشخصية .

وإذا كانت نظرية الإمامة هي التي أقامت الدولة الرستمية باختيار الإباضيين عبد الرحمن بن رستم إماما للدولة ، فإن عبد الرحمن نفسه قد جعل الدولة وراثية ، باستخدام أسلوب عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فرشح سبعة من بعده لتكون المفاضلة فيما بينهم ، واختار من بينهم ابنه عبد الوهاب ، وكان اختياره لستة زاهدين في الحكم ، فانتخب ابنه عبد الوهاب من بعده إماما ، وهكذا جرى الحال إلى نهاية عصر الرستميين ، وقد مرت الدولة من الناحية السياسية الداخلية طبقا لسنة التطور بأئمة أقوياء ، فقد

نعمت الدولة في عصورهم بالاستقرار السياسي والاجتماعي ، ومرت كذلك بأئمة ضعاف ، تفشت في عهودهم العصبية القبلية ، وعمت الفوضى أرجاء البلاد .

أما من الناحية الإدارية:

فقد قسمت الدولة إلى عمالات في شرق الدولة وغربها ، يحكمها الولاة الذين أسندت إليهم أعمال جباية الضرائب ، كما أنشأوا جهازا للشرطة للمحافظة على الأمن ، ووضعوا نظاما للقضاء يعتمد على المذهب الأباضي ، كما اتخذ الرستميون الوزراء ، واعتمدوا نظام السجلات وتأمين الوثائق ، وهذه النظم استمدت جذورها من الفكر الفارسي في الإدارة والحكم .

أما من الناحية الاقتصادية:

فقد ازدهرت الدولة ازدهارا كبيرا في الصناعة والزراعة والتجارة ، تبعا للاستقرار السياسي للدولة الرستمية ، وقد كانت البلاد الرستمية تمتلك روافد الأنهار والأراضي الزراعية الفسيحة والوديان ، وقد اعتنى الرستميون بشق القنوات التي توصل المياه إلى أقاصى الدولة .

وكانت أهم الزراعات : الكتان ، والسمسم ، والحبوب ، والفاكهة ، وكانت الصناعة تقوم على المواد الخام المتوفرة في بلاد المغرب ، فاشتهرت صناعة المنسوجات الحريرية والكتانية والصوفية .

واستخدم الرستميون القوة الدافعة للماء ، فأقاموا عليها الطواحين ، وعرف الرستميون التعدين (صناعة المعادن).

كذلك اعتمد الرستميون على التجارة في تسويق منتجاتهم الزراعية والصناعية ، وقامت بينهم وبين جيرانهم ، وبينهم وبين الأمويين في الأندلس العلاقات التجارية حتى لقد حقق الرستميون أرباحا طائلة من التجارة ، كما عرف الرستميون سك العملة الخاصة

بهم ، وعرفوا لأنفسهم أنواعا من المكاييل والموازين ، خاصة بهم في معاملاتهم التجارية .

أما من الناحية الفكرية:

كان الرستميون إباضيين ، لذلك نشأ الفكر الاباضي بينهم ، وكان قائما على المناظرة بين أهل المذاهب الأخرى كالمعتزلة والسنة والشيعة ، مما أدى إلى نشاط الحركة الفكرية ، وهذا جعلهم على احتكاك بمختلف الثقافات والبيئات العلمية في المغرب والأندلس ومصر وبغداد ، ولقد أسسوا مكتبة ضخمة تحوي أعدادا من كتب العلوم والفنون والآداب ، وسمح الرستميون للعلماء من جميع المذاهب - حتى من غير المسلمين – بمزاولة العلوم التجريبية .

هذا ، وكانت المرأة في العصر الرستمي تشارك في الحركة الفكرية ، وبرز منهن العالمات بالحساب والفلك وعلوم الدين .

وهكذا نرى أن الدولة الرستمية قد عاشت في حضارة سامية من جميع نواحيها ، سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو ثقافية .

* * *

دولة الأدارسة

(172-375هـ / 788-985م)

قام العلويون في عهد الخليفة العباسي الهادى (169-170هـ) بثورة في المدينة ضد العباسيين بقيادة الحسين بن على بن الحسين بن الحسن ، فبعث إليهم الخليفة بجيش كثيف عند " فخ " بين مكة والمدينة حيث هزمهم شر هزيمة ، ففر بعض قواد العلويين إلى أنحاء شتى ، وكان من بين هؤلاء إدريس بن عبد الله الذي تمكن من اللجوء إلى المغرب مارا بمصر ، وحيث نزل على قبيلة أوربة البربرية من البرانس ، واستجار إدريس

بهذه القبيلة فأجارته ، وجميع البربر على دعوته ، فاجتمعت حوله من القبائل البربرية كل زرعه ولواته وغات غاره و نفره ومكناسه وغيرهم ، وبايعوه على السمع والطاعة ، وحيث تم له الملك والسلطان ، واتخذ مدينة وليلى الروانية (على بعد 25 كم من مكناس) عاصمة له فوق مرتفع جبلي عام 172هـ ، ثم أصبحت العاصمة فاس في عهد الخليفة محمد بن إدريس عام 192 هـ

ويرى المؤرخون أن دولة الأدارسة هي أول دولة شيعية انسلخت في المغرب الأقصى عن الخلافة العباسية في المشرق ، وقد فرضت حكمها على كل من المغرب (مراكش) وغرب الجزائر ، وبفضل هذه الدولة انتشر الإسلام في مناطق شتى من جنوب المغرب ، حيث شملت الدولة بلاد السوس ، كما انتشرت الحضارة الإسلامية في ربوع هذه المناطق بفضل الأدارسة ، أما الدولة الثانية التي انسلخت، كذلك بالمغرب الأوسط فهى دولة الرستميين (160–296هـ) ، وهي دولة خارجية كما سيأتي ذكرها ، بيد أن أول دولة استقلت عن العباسيين على مستوى العالم الإسلامي فهى دولة بني أمية في الأندلس (138–422هـ) بزعامة عبد الرحمن بن معاوية (الداخل) متخذا من قرطبة عاصمة لها .

وتجدر الإشارة بأن الأدارسة كانوا يلقبون بلقب " الإمام "، وأن هذه الإمامة انتقلت إليهم بوصاية محمد النفس الزكية لأخيه إدريس الأكبر ، على اعتبار أن محمدا هذا انعقدت له الإمامة من طرف بني العباس ، ولهذا السبب نلاحظ أن مالك بن أنس وأبا حنيفة النعمان كانا يرجحان إمامة " النفس الزكية " على إمامة أبي جعفر المنصور ، ويريان أن إمامته قد انعقدت له قبل أبي جعفر هذا .

كذلك يذكر بعض المؤرخين أن الدولة العلوية الإدريسية كانت تشجع المعتزلة ، وحيث كانت قبيلة أوربة تدين بالاعتزال ، كما أن عبد الله الكامل والد الإمام إدريس كان يعتبر في الطبقة الثالثة من طبقات المعتزلة.

ولقد كانت بين الأدارسة وأهل مصر مكاتبات ، ففي رسالة للإمام إدريس الأول للمصريين يشيد فيها بفضلهم عليه ، ويلفت أنظارهم إلى فضائل أهل البيت النبوي الذي ينتمي إليه ، ويعدد تضحياتهم الغالية التي بذلوها في سبيل حقهم الشرعي الموروث عن الرسول ، ويطلب إليهم في آخر الرسالة أن يساندوه ويبايعوه.

وهكذا نرى أن الأدارسة كانوا حريصين على الاتصال يومئذ ببقية أقطار العالم الإسلامي ، وليس العكس كما يزعم البعض ، كما أنهم كانوا يتوقون إلى توحيد الأمة الإسلامية تحت زعامتهم ، مستندين في هذا إلى انحدارهم من نسل البيت النبوي ، وأحقيتهم لذلك في الخلافة .

هذا وبالرغم من أن العباسيين كانوا يخشون من اتساع نفوذ الأدارسة بإقامتهم الفصل الثاني : المغرب الأقصى (مراكش) ، دولة الأغالبة في تونس في مواجهتهم ، إلا أن الأدارسة تمكنوا من كسب صداقة الأغالبة واستمالتهم ، يشهد لذلك ما ذكره ابن الخطيب بقوله : "

وكتب إدريس بن عبد الله بن الحسين بن الحسن بن على بن أبي طالب ، القائم بالمغرب ، إلى إبراهيم بن الأغلب ، يستكفيه عن ناحيته ، ويذكره بقرابته من رسول الله ، فأجابه عن كتابه وأودعه ، ولم تجر بينهما حرب ".

جدير بالذكر ، أنه كانت هناك دولتان قويتان تقفان بالمرصاد لدولة الأدارسة ، وناصباها العداء ، وهما الدولة الفاطمية في تونس التي ورثت ملكهم من بعد ، ودولة الأمويين في الأندلس ، وكلتا الدولتين المتجاورتين تنتسب كذلك إلى البيت النبوي الشريف

، وتنازعتا في هذا الانتساب ، الأمر الذي كان له نصيب في ضعف الدولة الإدريسية على مر الأيام ، بالإضافة إلى تلك الخلافات التي كانت تنتسب للأمراء بالمناطق التي تحت أيديهم ، منذ عهد محمد بن إدريس، مما أدى إلى سقوط الدولة في النهاية ، عام 985,375 م .

ملوك الأدارسة

- إدريس الأول بن علي بن عبدالله بن الحسين بن الحسين 172هـ / 788م
- إدريس الثاني بن إدريس الأول 177 هـ / 793م
- محمد بن إدريس الثاني 213هـ/ 828م
- علي الأول بن محمد 221 هـ / 836م
- يحيى الثاني بن يحيى ؟
- على الثاني بن عمر بن إدريس الثاني ؟
- يحيى الثالث بن قاسم ؟
- يحيى الرابع بن إدريس بن عمر 292هـ/ 904م
- الحسن بن قاسم 310 هـ / 922م
- أمراء متناثرون ؟ هـ/ 985م

فاس عاصمة الأدارسة

إن مدينة فاس التاريخية في المغرب العربي في واحدة من درر المدن الإسلامية الثقافية ، ولا يضاهى دورها في المغرب الإسلامي سوى القيروان ، وكما جاء في " السالك " للعمري : " أنها تشبه دمشق وغرناطة ، وأهلها يشبهون أهل الإسكندرية في المحافظة على علوم الشريعة ، وتغيير المنكر ، والقيام بالناموس " .

ويعزز هذا القول ما جاء عند صاحب كتاب " جنى زهرة الآس في أخبار فاس " من قوله : " قال الحكماء لا تستوطن إلا بلدا فيه سلطان حاضر ، وطبيب ماهر ، ونهر جار ، وقاض عادل ، وعالم عامل ، وسوق قائم ... "

ويردف صاحب هذا الكتاب قوله ذاك بوصف أبناء فاس : " فلاعتداله اعتدال أهله ، فسلموا من شقرة الروم ، وسواد الحبش ، وغلظ الترك ، وجفاء أهل الجبال ، و دمامة أهل الصين ، وكما اعتدلوا في الخلق اعتدلوا في الفطنة والذكاء والعلم ... " .

فلهذه القيمة التاريخية للمدينة ، وحفاظا على تراثها العربي الأصيل نرى أن كانت نموذج المدينة الإسلامية في مهرجان العالم الإسلامي الذي عقد في لندن في منتصف السبعينيات ، وقررت منظمة اليونسكو المشاركة في إنقاذها كجزء من التراث الإنساني ، ورصدت من أجل إنقاذها 20 مليار دولار ، كما وجهت نداء عالما يلح في العمل على إنقاذها .

والآن .. ماذا يقول التاريخ في صدد هذه المدينة تأسيسا وتخطيطا ؟.

يعزو بعض المؤرخين تأسيس مدينة فاس إلى إدريس الثاني (192 هـ/ 808 م) ابن إدريس الأول (172 هـ / 775 م) اعتمادا على روايات قديمة ، ولعل أول من رددها من جغرافي المشرق ابن حوقل في القرن العاشر الميلادي ، ثم توالى ترديد هذه رواية من لدن الجغرافيين ، مثل ما جاء عند أبي عبيد البكري الأندلسي حين أورد وصفا شاملا لمدينة فاس ، فقال : " إن هذه المدينة تتكون من مدينتين مختلفتين ، ويحيط بكل منها أسوار ، كا يفصلها نهر شديد التيار ، وهو يسمى إحداهما ضفة القرويين والثانية ضفة الأندلسيين ، وتقع الأولى إلى الغرب من الثانية " ، كما يقرر في وصفه هذا أن المدينة الواقعة على ضفة الأندلسيين قد تأسست عام 192 هـ / 808 م ، وأن مدينة ضفة القرويين قد أسست في السنة التالية في عهد إدريس بن إدريس) .

ولقد جرى على هذا الوصف – من وجود مدينتين منفصلتين – جغرافيون قدامى، من أمثال اليعقوبي والمقدسي والإدريسي ، وفي أوائل القرن الرابع عشر الميلادي وجدت تفاصيل أكثر عن مدينة فاس في المصنفات التاريخية المغربية ، والتي تشير إلى ما ذكره المؤرخ ابن أبي زرع ، مؤلف " روض القرطاس " عن المدينة ، ونقلها عنه بعدئذ كل من الجزبائي في " زهرة الآس " ، وابن القاضي في " جذوة الاقتباس"

قد أورد المستشرق ليفي بروفنسال خلاصة رواية كتاب " القرطاس " ، بالإضافة إلى المصنفات التي نقلت عنه ، مقتصرا على الجوانب المبينة في الموضوع ، قال:

ولد إدريس الثاني في وليلى ، أو على الأصح وليلة ، في كتلة زرهون الجبلية (جبل زرهون) بعد وفاة أبيه إدريس الأول بشهرين ، كان موت أبيه حادثا محزنا لوفاته مسموما على يد رسول خاص ، كان قد أوفده الخليفة العباسي هارون الرشيد سنة 175هـ/ 791 م أو 177 هـ / 793 م.

وقد تولى رشيد عتيق إدريس الأول ورفيقه المخلص مهمة تعليم الطفل حتى كبر ، وصار حاكما سنة 188 هـ / 804 م ، بإجماع قبائل البربر بمراكش ، ثم مات رشيد بعد هذا بقليل ، وفي نهاية السنة التالية وهي سنة 189هـ / 805 م وجد إدريس الثاني أفواجا من الهجرات العربية تنهال عليه ، مما جعل بعضا من مسلمي إفريقية وإسبانيا تأتي إليه لتربط مصيرها بمصيره، حتى ضاق مقامه بوليلي عن استيعاب هذا النمو المطرد من السكان ، بحيث قرر لذلك إنشاء مدينة تكون عاصمة لمملكته ، وكان أن وجد في سنة 190 هـ / 806 م مكانا مناسبا ، يقع على السفح الشالي لجبل زلغ، وبدأ فعلا في بناء المدينة ، غير أن عاصفة عاتية ما لبثت أن حطمت الأسس والمعدات ، فوقف دولاب العمل.

وفي السنة التالية – عند مطلع 191هـ / نوفمبر 806 م – قرر إدريس الثاني الاستقرار بجوار الضفة اليسرى لنهر سبو ، على مقربة مباشرة من ينابيع خولان الساخنة

، حيث استحضر المواد اللازمة للعمل ، غير أن مخاوفه من عواقب الفيضانات الفصلية للنهر أجبرته على إهمال مشروعه .

أما المحاولة الثالثة فإنها ستكون أوفر حظا ، إذ يختار للمدينة أرضا مغطاة بأعشاب جافة متشابكة ومغمورة بالمياه الجارية ، ويعبرها نهير تغذيه ينابيع مجاورة وهذا الموقع وزير إدريس الثاني واقترحه عليه ، وكان قد اشتراه المحتلون من بربر زناتة المنتمين إلى أحزاب منافسة ، والمعتنقين للإسلام ، ثم يأتي إدريس الثاني نفسه ليستقر في هذا المكان ، بل ويصدر الأمر ببدء إنشاء المدينة على التحقيق في أول أيام شهر ربيع الأول سنة 192 هـ(4 يناير 828م) ، حيث يشرع في بناء تخترقه ستة أبواب ، على الأرض الواقعة على الضفة اليمنى من النهير ، أما في الداخل فبنى مسجدا بجانب الآبار على مقربة من معسكر إدريس الذي يحميه سور من خشب ، وقد أصبح هذا الحي أحد أحياء المدينة ، وسمي باسم حي " الأندلسيين " .

بعد ذلك بعام على التحقيق – بحسب التوقيت الهجري، الموافق 23 ديسمبر سنة 808 م – شرع إدريس الثاني في تشييد حي جديد مواجه للحي الأول ، وقد أدى إنشاء هذا الحي إلى إغلاق أسواره لجزء صغير من مجرى النهير ، كما أدى إلى امتداده بشكل ملحوظ على الضفة اليسرى من هذا النهير ، ذلك الحي المدينة هو الذي سوف يطلق عليه اسم حي " القرويين " ، الذي كان يشبه الحي المقابل له في إقامة ستة أبواب أيضا ، أما في داخله فنجد الحاكم يأمر ببناء مسجد ما لبث أن أقيمت حوله أسواق وقيسارية وقصر.

ثم لا يلبث هذا الإنشاء المزدوج الذي قام به إدريس الثاني إلا قليلا حتى يمتلئ بالسكان ظاهرة ، وذلك بفضل التسهيلات العديدة التي منحها الأمير من وفدوا للإقامة فيه ، وإن كان معظم النازحين إلى المدينة الشرقية من البربر ، في حين أن أكثر الوافدين إلى المدينة الغربية من العرب ، وبسرعة كبيرة تختلط بهؤلاء المسلمين طائفة ملحوظة من

اليهود ، ويأخذ هذا التجمع اسم " مدينة فاس "، ويستقر فيها مع الأمير أسرته وحاشيته ، ولم يكن في ذلك الوقت قد تجاوز السابعة عشرة من عمره ، وظل بها إلى سنة 197 هـ (812–813م) ، ثم رحل بعد ذلك في حملة إلى الأطلس الكبير عاد بعدها إلى مدينة فاس ، ثم غادرها سنة 199 هـ متجهاً إلى تلمسان ، وبعد هذا بثلاث سنوات عاد إلى عاصمته ، التي استقبلت في ذلك الحين حملة قوية من عساكر الأندلس ، ممن طردهم الحكم الأول الربضي أمير قرطبة الأموي ، وذلك عقب " وقعة الربض " وسمح لهم إدريس الثاني بالقرار في الحي الشرقي ، ومنذ ذلك الوقت لم يبرح إدريس مدينة فاس .

بعد هذا بعشرة أعوام – في سنة 213 هـ / 828م – مات إدريس في ظروف غامضة في فاس نفسها ، أو في وليلة، تاركًا مدينته المزدوجة يانعة مزدهرة كما ترك عند وفاته أطفالا كثيرة ، كان منهم على الأقل اثنا عشر ولذا تقاسموا أملاكه .

ويعترف ليفي بروفنسال في مساق هذا الحديث عن مدينة فاس ، بأن رواية صاحب القرطاس قد اشتملت على تفاصيل كثيرة عن كل مرحلة من مراحل إنشاء المدينة المزدوجة ، وأن هذا المصدر ذو قيمة نادرة بين المصادر الأخرى في الموضوع ، حيث ضم المعلومات الطبوغرافية فيما يتصل بتخطيط الحيين وأبوابها، وهي معلومات تكاد تكون فريدة في بابها ، إذا ما أضفنا إليها روايات البكري التي ألمحنا إليها ، ولهذه المعلومات قيمتها التاريخية أيضا ، عند القيام بالموازنة بين خريطة فاس الحالية بنظائرها التي كانت لنفس الموقع طوال القرون الأولى من التاريخ الإسلامي .

كذلك يضيف صاحب القرطاس إلى ما سبق ، أن مدينة فاس قد نمت من بعد وترعرعت بحركة العمران والمرافق التي استلزمت ذلك ، ولكن الحيين اللذين اشتملت عليها المدينة كان لكل منهما مصير لا يواكب مصير الآخر ، نظرا للاضطراب الذي سادهما على مر التاريخ ، فها تارة متضادان ، وتارة متفقان ، حتى عدت السنون ، وجاء زعيم المرابطين يوسف بن تاشفين (400–500هـ) ليحطم الحواجز التي تفصلهما ، ويوحدهما

بصفة نهائية في مدينة واحدة عام 462 هـ/ 1069م ، ومنذ ذلك الحين بدأت تستقر هذه المدينة الكبرى في العصور الوسطى التي لم تلبث أن أصبحت مركز الإسلام في المغرب الأقصى ، زاخرة بمواردها الدويلات الإسلامية في المغرب ا العلمية والصناعية والتجارية . وتجدر الإشارة إلى أن ضفة القروين هي (مدينة القرويين) الضاحية التي عمرها سكان المغرب الأدنى الذين وفدوا من القيروان ، وحيث بني بها جامع القرويين الذي أسسته السيدة فاطمة الفهرية ، وقد خصصنا له حديثا يليق بها له من أثر إسلامي عظيم في كتابنا " الإسلام فكرا وحضارة ".

ولقد تضاءل مركز فاس السياسي في عصر كل من المرابطين والموحدين؛ حيث اتخذ هؤلاء من مراكش عاصمة لهم ، حتى أتى بنو مرين فأعادوا لفاس مجدها الإداري ، واتخذوها عاصمة لهم.

وإلى جوار فاس القديمة توجد فاس الجديدة ، التي بناها الأمير أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني عام 674 هـ/ 1275م ، وقد أطلقت عليها عدة أسماء، كالمدينة البيضاء ، والبلد الجديد ، والمدينة الجديدة .

إن فاس منذ القدم تحتل مكانة مرموقة من بين مدن المغرب التي ذكرنا ، من اتخاذها عاصمة للمملكة فترات من الزمن ، وعلى الصعيد الإسلامي فإنها تمثل واحدة من المدن الثقافية الإسلامية ، لما اشتملت عليه من جامعة عريقة وهي " جامعة القرويين " .

من آثارها القديمة – إلى جانب القرويين – مدرسة أبي عنان المريني وساعتها الشمسية الغريبة ، ومدرسة العطارين ، ومدرسة الصباحية ، ومسجد الأندلس ، وزاوية إدريس الثاني مؤسس المدينة ، حيث يوجد ضريحه ، وكلها منشآت على الطراز الأندلسي المغربي ، كأروع آثار فنية ما زالت تحتفظ بروائها.

وتتصل فاس القديمة بفاس الجديدة عبر حدائق أبي الجنود الغناء ، وتعتبر أبواب فاس الجديدة غريبة الشكل ، كباب الشاكمة وباب الدكاكين وباب السارين ، وتوجد قبور المرينيين على مرتفع يشرف على المدينة الواقعة في سفح جبل أخاذ، في جوف صدفة من الأسوار العتيقة ، وقد دفن بالمدينة وخاصة في أطرافها كثير من علمائها البارزين وقوادها المشهورين، بالإضافة الى بعض اللاجئين السياسين، أمثال لسان الدين بن الخطيب السلماني (713-776هـ).

الأغالبة

استقلت دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى، كما استقل بنو رستم بالمغرب الأوسط ، فخاف العباسيون على سلطانهم بالمغرب الأدنى ، خاصة وأن حكمهم بإفريقية بدأ يدب إليه الضعف في عهد الوالي العباسي القدير بني يزيد بن حاتم المهلبى سنة 170 هـ ، وفي خضم هذه القلاقل ظهر إبراهيم بن الأغلب الذي استطاع بشخصيته أن يعيد للعباسيين سلطانهم على هذه البلاد ، بعد أن كتب إلى الخليفة الرشيد برغبة السكان في أن يتولى حكم المنطقة من قبله ، فأجابه إلى ذلك، فقام إبراهيم بالأمر خير قيام ، وأنشأ مدينة العباسية قرب القيروان وانتقل إليها ، فازدهرت المدينة ، وعمرت بسكانها ، وسادها جو علمي و اقتصادي زاهر.

هذا ، وقد اتفق إبراهيم مع الرشيد على أن تكون له الولاية على إفريقية طيلة حياته ، ثم لبنيه من بعده بالوراثة ، على أن يتولى الخليفة في بغداد اعتماد الولاة واحدا بعد الآخر ، وبهذا بدأت أسرة الأغالبة ، تلك التي يرجع إليها الفضل في استقرار الأمن في إفريقية لأول مرة في التاريخ .

1-إبراهيم بن الأغلب أقنعت أحداث إفريقية المتوالية من المعارك الكثيرة التي خاضها العرب ضد البرابرة ، وحركات التمرد التي قامت بها الدويلات في الشمال الإفريقي ... بأن الانفصال عن الإمبراطورية العباسية أصبح حقيقة لا مناص منها ، وقد

دفع هذا الخليفة العباسي الرشيد إلى قبول ما عرضه عليه إبراهيم بن الأغلب بالتسليم باستقلال إفريقية استقلالا جزئيا عن الخلافة العباسية ، والاكتفاء بالتبعية الاسمية أن إبراهيم للخلافة ، وذلك نظير مبلغ من المال يدفعه إلى الخلافة ، وكان الرشيد بفعله هذا يقر استقلال إبراهيم بن الأغلب الفعلي ، مع التبعية الاسمية فقط للخلافة العباسية .

وقد كان إبراهيم هذا من أفضل ولاة المغرب ، فقد جمع بين العلم والتفقه في الدين، واتخذ من مدينة القيروان عاصمة له ، وكان يسعى دائما إلى محاولة الاستقلال عن الخلافة العباسية ، وذلك بتكوين قوة بحرية هائلة ، لكن ابن الأغلب واجه مشكلات كثيرة وثورات عديدة ، كان من أهمها ثورة حمديس ، وهو من طائفة العرب ، حيث أخذ في نزع شعار السواد المعروف ، وهو شعار بني العباس ، فبعث إليه إبراهيم قائده عمران بن مجالد في جيش كثيف لقمع هذه الثورة ، حيث تمكن من التغلب على حمديس ، ومع كان يحاول استقلاله نهائيا إلا أنه كان مخلصا للخلافة العباسية ، حيث كان يترصد أعداءها بالمغرب .

كذلك نجد في عهده ثورة أهل طرابلس على ولاتهم من قبل ابن الأغلب في سنة 189 هـ، وقد قاتلهم عامله سفيان بن المضاء ، حيث كانوا يكون منه فبعث ابن الأغلب جيشا هزمهم ، ودخل طرابلس ، وقضى على هذه الثورة تماما.

ولم تقتصر ولاية ابن الأغلب على هذا ، بل نجد أن قائده عمران بن مجالد قد تمرد عليه سنة 195 هـ ، وافترق عنه ، وكان معه أيضا خريش بن التونسي ، حيث اتخذا لها أنصارا في القيروان ، مما اضطر ابن الأغلب إلى النزول بين القيروان والعباسية ، وتمكن من التغلب على هذه الثورة التي قام بها كل من ابن مجالد وابن التونسي

كذلك عندما ولى إبراهيم ابنه على طرابلس سنة 196هـ ثار عليه الجند وحاصروه في داره ، وصالحوه على أن يخرج من بلدهم ، وبالفعل فقد خرج منها ليجمع حوله أنصارا بالأموال والعطايا ، وزحف بهم على طرابلس ، وتغلب على جندها.

هذا، ويعتبر إبراهيم بن الأغلب أول من اتخذ العبيد لحمل سلاحه ، واستغنى عن استخدام الرعية في أي شأن له.

2- أبو العباس عبد الله بن إبراهيم

وقد كان مشغولاً وثت وفاة والده سنة 196هـ بإخماد الثورة في طرابلس، فقام أخوه زيادة الله وتلقى له البيعة، وعاد عبدالله إلى القيروان سنة 197 هـ، واستقبله أخوه استقبالا يليق به ، وسلم له الإمارة ولكن بدلا من أن يعترف عبد الله لأخيه زيادة الله بالفضل فقد أخذ يتحامل عليه ، ويأمر بسبه ، إلا أن زيادة الله ظل يبدي له التبجيل والتعظيم ، وكان أبو العباس جائرا متعسفا ظلوما مع رعيته ، حيث ضاق به الناس ، مما دفع جماعة من الصالحين على رأسهم حفص بن حميد إلى نصحه بالعدل والإنصاف ، وقدموا إليه الموعظة ، ولكنه استخف بهم وأعرض عن نصائحهم ، فخرجوا من قصره وقد ساءهم، ذلك الاستخفاف بهم ، وعندما وصلوا إلى وادي القصارين نزلوا هناك ، وصلوا في كذية ركعتين ، ودعوا الله أن يكف عن المسلمين جور أبي العباس ، ولم يمض على دعائهم خمسة أيام حتى توفي بسبب قرحة أصابته تحت أذنه سنة 281هـ، وبذلك تنفست الرعية الصعداء .

3- زيادة الله:

ويأتي بعده زيادة الله بن إبراهيم ، وقد كان من أعظم أمراء بني الأغلب على الإطلاق ، لذلك نجد البلاد التونسية تنعم في عهده بمثل ما نعمت به في عهد سلفه من رخاء في المعيشة ، وقد ترك زيادة الله آثارا كبيرة بالقيروان والعباسية وتونس وسوسة ، وقد جمع عهده بين الفنون والعارة والأدب ، واشتهر هو بذلك ، إلى جانب الكفاية الحربية ، كما

تمكن من قمع جميع الثورات بمجرد اعتلائه الإمارة بعد أخيه ، ووصله التقليد من قبل الخليفة المأمون ، وظل مخلصا للمأمون حينا اعتلى عرش الخلافة ببغداد .

أما أهم الأحداث الداخلية في عهده فهي ثورة زياد بن سهل ، وثورة عمر بن معاوية ، وثورة منصور الطنبدي بتونس ، وهي أخطر الثورات التي اشتعلت نيرانها في عصره ، وقد تمكن من إخماد كل هذه الثورات ، مع أنها كادت تطيح بملك الأغالبة ، لخطورتها واشتدادها .

كذلك عني زيادة الله بالأسطول الإسلامي ، وقام بغزو عدد من الجزر القريبة ، بيد أن أهم الغزوات البحرية كان غزو جزيرة صقلية ، حيث كان المسلمون دائماً يحاولون الاستيلاء عليها ، كما كان الروم يواصلون زحفهم على تلك الجزر المحاولة السيطرة عليها ، لهذا يمكن أن نرجع رغبة فتح المسلمين لصقلية للأسباب الآتية :

1- اعتبار غزو صقلية عام 212 هـ بمنزلة القضاء على غارات الروم المتكررة.
2- كانت صقلية بالنسبة للمسلمين بلادا غنية ، حيث إنها تشتمل على أراض جديدة يمكن استغلالها إذا تم للمسلمين فتحها .
3- كذلك نجد أن العامل الديني – وهو الجهاد في سبيل الله – كان له أثره في إتمام هذا النصر – فقد كان أهل إفريقية قد تفقهوا في الدين الإسلامي ، وكان الخروج المدافعة الروم عن صقلية أمر يتمناه العابدون والصالحون ، وقد وافق زيادة الله على أن يكون القاضي أسد بن الفرات قائدا للحملة ، وحيث خرج معه أشراف العرب والجند والبربر والأندلسيون
4- أراد زيادة الله أن يبدو أمام الناس بمظهر المجاهدين ، فيكسب قلوب رعيته ، ويوطد مكانته في نفوسهم

5- أراد أن يتخلص من بعض جنوده عن طريق إشراكهم في هذه الغزوة، فقد كانوا يقومون أحيانا بالثورات ضده .

أخيرا ، يعتبر زيادة الله من أحسن خلقاء دولة الأغالبة على الإطلاق ، وذلك لما قام به من أعمال عمرانية وحربية ، مما أكسبه مكانة تاريخية ممتازة في إفريقية .

4-أبو عقال الأغلب:

وقد خلف أخاه عندما توفي ، وكان يلقب بخزر ، وقد ساد الهدوء أيامه ولم يعكر صفو هذا الهدوء إلا انتفاض خوارج زواغة ولواتة ومكناسة سنة 234 هـ في إقليم قسطنطينة ، وحيث قتل عامله هناك ، فسير لهم جيشا بقيادة عيسى بن ربعان ، كذلك نجد أبا عقال قد اهتم بأمر صقلية ، ونجح المسلمون في افتتاح عدد من حصونها ، كما اشتبك مع البيزنطيين في موقعة بحرية انتهت بانتصار المسلمين .

5-أبو العباس محمد بن الأغلب بن إبراهيم (226-242هـ):

وقد ساد الأمن وعم السلام بلاد إفريقية في أول ولايته ، وظل الهدوء سائداً، واستطاع خلال تلك الفترة بسط نفوذه في المغرب الأدنى ، فأسس مدينة بالقرب من تاهرت ساها " العباسية " ، وقد قامت في عهده عدة ثورات كان من بينها ثورة أخيه أحمد ، ولكنه تمكن من التغلب عليه ونفاه إلى مصر .

كذلك قام سالم بن غلبون عامله على الزاب بالثورة عليه ؛ حيث إن الأمير كان قد عزله ، فأقبل سالم بن غلبون بجيش من أنصاره حتى وصل قلعة يلبسير ، فأخرج إليه ابن الأغلب قائده خفاجه بن سفيان ، وتمكن هذا من التغلب عليه ، كذلك ثار عليه عمرو بن سليم التجيبي المعروف بالقوبع في تونس ، واستمرت ثورته فترة من الزمن ، وفشل قائده خفاجة في القضاء عليه ، فبعث إليه بجيش آخر بقيادة محمد بن موسى المعروف بعريان ، فانهزم محمد بن موسى ؛ لأن عددا كبيرا من عسكر ابن الأغلب

انضم إلى جيش القوبع ، فسير إليه أبو العباس جيشا للمرة الثالثة بقيادة خفاجة ، الذي تمكن في هذه المرة من هزيمته.

6- أبو إبراهيم أحمد بن محمد (242-249هـ):

وكان صغير السن ، حسن السيرة ، كريم الفعال ، رفيقا برعيته ، متجنبا الظلم ، مولعا بالبناء ، فقد أنفق الأموال الكثيرة في بنيان المساجد والجسور والقناطر ، وزاد في بناء الجامع الكبير.

وفي عهده ثار خوارج البربر من الإباضية في طرابلس سنة 245 هـ ، وهزموا عاملها أخاه عبد الله بن محمد ، فسير لهم أخاه زيادة الله ، فانهزم الإباضية ، وقتل عددا خلف أخاه ، ولم يطل عهده، إذ توفي بعد أخيه بعام واحد، وهو الذي أتم عمل | الدويلات الإسلامية في المغرب ، كبيرا منهم ، وتوفي أبو إبراهيم سنة 249 هـ.

7- محمد زيادة الله بن محمد(249- 250 هـ):

خلف اخاه ولم يطل عهده، إذ توفى أخيه بعام واحد وهو الذي أتم عمل أخيه في استكمال جامع الزيتونة بتونس .

8- أبو الغرانيق محمد بن أحمد (250 - 261 هـ):

وقد لقب بهذا اللقب لحبه الشديد لصيد الغرانيق ، حتى إنه بنى قصرا يخرج إليه الصيدها ، وأنفق عليه حوالى 30 ألف مثقال من الذهب ، وفي عهده أقام محمد بن حمدون المسجد الشريف المنسوب إليه بالقيروان ، ويعرف بمسجد الأبواب الثلاثة

9- إبراهيم بن أحمد (261- 289 هـ):

ويعتبر من أعظم أمراء بني الأغلب فهو الذي قام بتأسيس مدينة رقادة ، وبنى بها جامعا ، وأنشأ قصرا أساه الفتح ، كما أقام الحصون والمحارس بالسواحل ، حتى إن النار كانت توقد في ساحل سبتة نذيرا للعدو . كذلك قام ببناء سور سوسة ، وظهرت في عهده فتنة العباس بن طولون ، الذي انتهز فرصة غياب والده بالشام ، ولكنه أصبح سيىء

الطبع بمرور الأيام ، جائرا ظالما سافكا للدماء ، ثم أصيب في آخر عهده بجنون القتل ، حتى إنه قتل أبناءه وبناته ، وقتل ثمانية إخوة له ، وأتى بأمور لا تصدر إلا من متوحش ، ويقال إنه فقد منديلا صغيرا ، فقتل بسببه ثلاثمائة خادم ، وكان أثيا جائرا لما صدر عنه من شروره.

10- زيادة الله بن عبد الله (290-296هـ):

وهو آخر ملوك بني الأغلب ، لما تولى قبض على أعمامه ، وأرسلهم إلى إحدى الجزر ، وأمر بقتلهم ، وعكف على اللهو والملذات ، وظهر التقدم الشيعي في عهده .

الدولة الطولونية (254-292ه/868-905م)

اسس الدولة الطولونية احمد بن طولون ،وهو من المماليك الاتراك .تزوجت والدته بع وفاة والده من الامير بايكباك التركي الذي عينه الخليفة المعتز واليا على مصر في عام (254هـ/868م) فأرسل بدوره احمد بن طولون ليتولى حكم مصر بالنيابة عنه ،فساعدته الظروف السياسية والاقتصادية المتدهورة في تثبيت اقدامه فيها .كما اسند اليه الخليفة المهتدي ولاية الثغور الشامية على اثر وقوع الاضطرابات فيها .واضحى ابن طولون حاكم مصر من قبل الخليفة مباشرة بعد وفاة كل من بايكباك وخلفه ياركوج في عام (259هـ/873م).

كان ابن طولون حافظا للقرآن فقيها صالحا ،شرع ابن طولون في القيام بأعمال عمرانية تعبر عن مدى اهتمامه الشديد بمصر ،ومتطلعا من خلالها الى اقامة دولة خاصة به منفصلة عن الخلافة ،فأسس مدينة القطائع وهي احدى ضواحي الفسطاط ،وبنى فيها مسجد ابن طولون المشهور والذي لايزال قائما الى الان،وكذلك بنى بيمارستان للمرضى ،وقوى الجبهة الداخلية من خلال تنمية موارد الثروة ،ومضاعفة الدخل في ميادين الانتاج ،واصلح اقنية الري والسدود الخربة ،وحظر على الموظفين قبول الهدايا .ونتيجة لهذه الاصلاحات تجمع لابن طولون اموالا ضخمة اعانته على انشاء جيش قوي يدين له بالولاء ،ويساعده في تحقيق مشروعاته الانفصالية والدفاع عنها .

لعل المشكلة الكبيرة التي واجهت ابن طولون هي علاقته بأبي احمد الموفق طلحة الذي سيطر على الشؤون العامة في بغداد ،وقاد حركة اصلاحية بهدف النهوض بالسلطة

المركزية ،لذلك سعى جاهدا للقضاء على الدولة الطولونية التي انفصلت عن الادارة المركزية ،وبدأت تتطلع نحو ضم بلاد الشام ،لكن محاولاته باءت بالفشل .وحصل ابن طولون على تقليد من الخليفة ،بفضل علاقته الحسنة به ،بحكم مصر وبلاد الشام بالاضافة الى ثغورها .

وحاول ابن طولون في غمرة الصراع مع الموفق طلحة ،الى نقل مقر الخلافة الى مصر مستغلا الجفاء الذي نشأ بين الخليفة والموفق ،الا انه فشل في ذلك .ويبدو ان الموفق لم يركن الى الهدوء وسعى جاهدا الى ازاحة خصمه ،فعزله عن مصر وبلاد الشام وولى اسحاق بن كنداج على اعماله ،فتراجعت نتيجة ذلك قوة ابن طولون .ثم دخل الطرفان في مفاوضات من اجل احلال الوفاق بينهما ،لكن المنية عاجلت ابن طولون قبل ان تنتهي،وذلك في(اوائل شهر ذي القعدة عام 270هـ/ايار عام 884م) ،وخلفه ابنه خمارويه الذي ورث مهمة الدفاع عن الارث الطولوني في مصر والاحتفاظ ببلاد الشام ،مع استمرارعداء الخلافة للطولونيين.وفشلت محاولات الموفق في خلعه او التغلب عليه في ساحة القتال ، وبخاصة بعد اندحاره امام القوات الطولونية في معركة الطواحين على نهر ابي فطرس جنوبي فلسطين في عام (271هـ/ 884م).

واضحت الدولة الطولونية في عهده قوة تملأ مكانها بجدارة ،وعلى الرغم من هذه الانتصارات التي حققها خمارويه ،فقد مال الى السلام ،وبادر بطلب الصلح مفتتحا بذلك مرحلة جديدة من العلاقات مع الخلافة العباسية .وضمنت المعاهدة التي وقعت بين الجانبين ،للطولونيين ،الولاية على مصر وبلاد الشام والثغور طوال ثلاثين سنة مقابل دفع جزية هزيلة .وتدعمت هذه العلاقات الجيدة بالمصاهرة عندما تزوج الخليفة المعتضد ابنه خمارويه قطر الندى.

توفي خمارويه في عام (282هـ/859م) مقتولا على يد بعض غلمانه ،فأضطربت الدولة الطولونية بعد وفاته ،واستمرت بالانحدار خلال السنين العشر الاخيرة من عمرها ،وذلك بسبب تدخل الجند ،وتنافس الامراء ،حتى انتهت على يد الخليفة المكتفي الذي دخلت قواته الى مصر في عام (292هـ/905م) فدمرت مدينة القطائع بأستثناء الجامع ،وعاد هذا البلد الى حكم الخلافة المباشر.

المصادر /

1- ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
2- ابن الاثير ،الكامل في التاريخ
3- طقوش ،التاريخ الاسلامي الوجيز

الدولة الاخشيدية (323-358هـ/935-969م)

عادت مصر الى احضان الخلافة العباسية ، لكن هذه الخلافة اصابها الوهن مرة اخرى في عهد الخليفة المقتدر ،وظهر عجزها في المحافظة عل سلطتها في ولاياتها، ومنها مصر ،وصاحب ذلك ظهور خطر خارجي تمثل في محاولات الفاطميين غزو هذا البلد ،فتطلب الوضع وجود حاكم قوي يملأ الفراغ ،ويتصدى للأخطار ،ويجعل من مصر دولة حاجزة امام الزحف الفاطمي ،فولى الخليفة محمد بن طغج بن جف على مصر في عام (323هـ/935م) وكلفه بهذه المهمة .فيعد محمد بن طغج مؤسس الدولة الاخشيدية تركي الاصل الملقب بالاخشيد ،والاخشيد معناه (ملك الملوك) وهو لقب ملوك فرغانة وهي احدى بلاد ماوراء النهر التي تتاخم بلاد التركستان .

كان محمد بن طغج من موالي ال طولون ،وكان الخليفة الراضي بالله (322هـ/329م) قد رضي عن محمد بن طغج حينما صد هجوم الفاطميين على مصر سنة (323هـ)،فقلده ولايتها ،وكانت علاقة الاخشيديين بالخلافة العباسية علاقة ولاء كامل حتى ان محمد بن طغج عرض على الخليفة العباسي المتقي بالله (329هـ- 333هـ)ان ينتقل الى مصر ويجعلها مقرا للخلافة ،مقتديا بأبن طولون ،مستغلا استبداد الامراء الاتراك بالخليفة المتقي واحجام الحمدانيين عن مساعدته ،الاأنه فشل في ذلك ايضا لان الخليفة رفض ان يترك عاصمته .وعلى العموم كان ولاة هذه الدولة متدينيين ،فقد كان بلاط الاخشيد مجتمعا للعلماء والادباء ،وكان ابن طغج يحضر ختمة القرآن في رمضان ويبكي عند سماعه القرآن .وكان ابن طغج بطلا شجاعا حازما .

اهتم محمد بن طغج اولا بتقوية مركزه في الداخل منتهجا نهج احمد بن طولون ،ونجح في التصدي لحملات الفاطميين التي هاجمت مصر في عام (324هـ/935م) وحافظ في الوقت نفسه على علاقته الطيبة مع الخلافة العباسية التي اضافت الى املاكه بلاد الشام ،ولقبه الخليفة ((بالاخشيد)).

كانت الخلافة العباسية انذاك تشهد تطورات سريعة بفعل الصراع من اجل الحصول على منصب امير الامراء ،فدخل الاخشيد في دوامة هذا الصراع ،فهزم ابن رائق في العريش في عام (328هـ/940م)،لكن الاخشيد آثر تقديم المصلحة العامة على مصلحته الخاصة ،فعقد صلحا مع ابن رائق تنازل بموجبه عن الاراضي الشامية الواقعة شمالي الرملة ،ثم سيطر على كامل بلاد الشام بعد وفاته في عام (330هـ/942م)،واعترف الخليفة المتقي بوراثية ولايته على مصر وأقره على بلاد الشام .

واصطدم الاخشيد بسيف الدولة الحمداني اثناء توسعه بأتجاه الشمال ،الا انه تراجع على الرغم من انتصاره لانه ادرك ضرورة وجود قوة اسلامية في شمالي بلاد الشام كقوة الحمدانيين ،للتصدي لاعتداءات البيزنطينيين .

وبعد وفاة كافور سنة (334هـ) تولى مكانه ابنه انوجور الذي لم يتجاوز (14)عام لذلك اصبح كافور مدبر الامر في عهد انوجور ،واخيه علي ،ثم عهد ابنه احمد ،بأعتباره وصيا على ولديه الصغيرين انوجور وعلي ،واستطاع خلال مدة وصايته الطويلة ان يحافظ على تماسك الدولة .

فبين سنة (355هـ-357هـ) تعرضت مصر والشام لهجمات القرامطة من الشرق ،وهجمات الفاطميين من الغرب ،وهجوم ملك النوبة على مصر من الجنوب ،وفي النهاية دخل الفاطميين مصر ثم الشام ،لكن وفاته في عام(357هـ/968م) واضطراب الاوضاع في مصر نتيجة ذلك ،دفعت الفاطميين للاغارة على مصر،ونجحوا في دخولها في العام التالي اي في عام (358هـ/969م) فقضوا على الحكم الاخشيدي .

على الرغم من قصر عصر الدولة الاخشيدية في مصر ،فقد شهدت نشاطا حضاريا مزدهرا في ميادين الفنون والاداب والعلوم ،ولكن الذي وصل الينا من آثاره قليل بسبب تقادم الزمن من ناحية ،ومجيء العصر الفاطمي بعده من ناحية اخرى الذي طغت آثاره على ماكان في مصر قبلها من الاثار الاسلامية .

وعلى الرغم من ان الاخشيديين اهتموا بالبناء وتشييد القصور الاانهم لم يهتموا ببناء مدينة جديدة في مصر ترتبط بهم على غرار مدينة الفسطاط والعساكر،ولم تذكر المصادر الا اهتمام محمد بن طغج الاخشيد بتجديد بناء كثير من المساجد .وكان للاخشيد دار اطلق عليها اسم المختار في جزيرة الروضة ،كما ان كافور الاخشيدي شيد مسجدا في سفح المقطم اطلق عليه اسم مسجد الفقاعي ،وكان في وسطه محراب من الطوب ،وهو اول محراب بني في مصر .

وانشأ الاخشيد محمد بن طغج جيشا على غرار الجيش الطولوني ،حتى اضحى من اكبر القوى العسكرية في العالم الاسلامي .

كما اهتم الاخشيديون بأنتعاش الاحوال الاقتصادية في مصر ،واولوا عنايتهم بالزراعة والصناعة والتجارة .والى جانب هذا كانت مصر بلدا صناعيا ،فأشتهرت في العصر الاخشيدي بصناعة النسيج الرقيق ،وامتازت بصفة خاصة بالاقمشة ذات الخيوط الذهبية التي كانت تصدر الى العراق .وقد ظل الخلفاء العباسيون في العصر الاخشيدي يستمدون من مصر اكثر مايلزمهم من المنسوجات النفيسة المحلاة بالكتابات الكوفية .

كما ظهرت صناعة الورق التي حلت محل البردي،واشتهرت مصر بصناعة الاسلحة والتحف الدقيقة المطعمة بالذهب والفضة والجواهرالثمينة ،وانشأ الاخشيد دارا لصناعة السفن بالفسطاط سنة (325هـ).

اما التجارة فقد ارتفع شأنها في العصر الاخشيدي ،ذلك ان تجارة الشرق التي كانت تتجه الى المحيط الهندي والشرق الاقصى ،اخذت تتحول عن طريق الخليج العربي والعراق – اي عن طريق هرمز والبصرة – الى طريق مصر والبحر الاحمر .ويذكر المقدسي :ان ثغر عدن صار في القرن الرابع الهجري /العاشر الميلادي، اهم مركز تجاري ، في حين اخذت بغداد تتدهور وتفقد مكانتها .

المصادر /

1-ابن تغري بردي ،النجوم الزاهرة

2- ابن الاثير ،الكامل في التاريخ

4- طقوش ،التاريخ الاسلامي الوجيز

الدولة الحمدانية في حلب (333هـ-406ه/945-1015م)

ينتسب الحمدانيون الى حمدان بن حمدون من قبيلة تغلب العربية الاصل التي اقامت في ضواحي الموصل .وقام حمدان بدور هام في الحوادث السياسية التي وقعت في هذه المدينة منذعام (260هـ /874م) واستولى في عام (277هـ/890م)على قلعة ماردين في الجزيرة العليا عن طريق التعاون مع الخوارج ،فحاربه الخليفة المعتضد في عام (281هـ/894م) وتغلب على قواته .هرب حمدان من الموصل تاركا المدينة تحت حكم ابنه الحسين ،وعلى الرغم من انه وقع اسيرا في يد الخليفة ،فقد عفا عنه بعد ان هزم ابنه الحسين الخوارج .ومنذ ذلك الوقت بدأت شهرة الحمدانيين تظهر على مسرح الاحداث السياسية .ففي عام (293هـ/906م) قلد الخليفة المكتفي ابا الهيجاء عبدالله بن حمدان ،اخا الحسين ،الموصل ،كما قلد اخاه ابراهيم ديار ربيعة في عام (307هـ/919م).

اناب ابو الهيجاء ابنه الحسن في حكم الموصل ،وتمكن الحسن من بسط سلطانه على الجزيرة بكاملها بالاضافة الى شمال بلاد الشام ،والتجأاليه الخليفة المتقي بعد ان تعددت هجمات البريدي واخوته على العراق ،فخلع عليه في (شهر شعبان عام

330هـ/نيسان942م) ولقبه(ناصرالدولة)،وعينه امير للأمراء ،كما لقب اخاه علي (سيف الدولة) .

والواقع انه لن تكون لهذه الاسرة الامكانة متواضعة في التاريخ لولا ان احد افرادها وهو سيف الدولة ،اخو ناصر الدولة ،انتهز الظروف المواتية ،فأنشا لنفسه امارة في شمالي بلاد الشام تتوسط الطريق بين العراق ومصر .

لقد ادرك سيف الدولة انه يتعذر عليه التمكين لنفسه في العراق بوصفه عامل الحليفة وساعده الايمن ،في ظل صراع الاتراك وطموح البويهيين وتوثبهم ،فولى وجهه شطر بلاد الشام ،وسيطر على حلب في عام (333هـ/ 945م) بعد ان انتزعها من ايدي الاخشيديين .وحاول ان يبسط سلطانه على دمشق ،الا انه اصطدم بقوة الاخشيديين بقيادة كافور ليتفرغ بعد ذلك للمشكلة التي كرس جهوده من اجلها ايام حكمه ،واعني النضال ضد البيزنطينيين . وقد دفعه وضع امارته الجغرافي بوصفها امارة ثغور الى سلوك هذا المسلك ،في ظل الاستفاقة التي شهدتها الامبراطورية البيزنطية،واتاح لها القيام بغارات على بلاد الشام .وبع ان اكتسحت قسما من ارمينية وصلت الى الحدود الممتدة بين جبال طوروس وملطية وبين ارضروم ،وكان المسلمون انذاك قد شغلوا بنزاعاتهم الداخلية ،فعجزوا عن صد البيزنطيين ،عندئذ تشجع الاباطرة امثال نقفور ويوحنا ،فتجاوزا اسيا الصغرى وهاجموا الممتلكات الاسلامية في كيليكية وبلاد الشام واعالي الرافدين ،فكان على سيف الدولة وحده ان يتحمل عبء القتال ..وعلى الرغم من انه لم يمتلك قوات عسكرية وفيرة العدد ،الا انه استطاع ان يجدد امجاد المسلمين الاوائل في صدامهم مع البزنطيين ،ويقاوم بيزنطة طوال عشرين عاما ،وان يغير على اراضيها في اسيا الصغرى في غارات بالغة الجرأة ، لكن هذه الغارات لم تؤثر في قوة بيزنطية التي بقيت بمنجاة من التدمير ،وسمحت لها بالرد ،فأستعادت كيليكية وشمالي بلاد الشام مع انطاكية وطرسوس في عام (357هـ/968م)والقت القوات البيزنطية الحصار على حلب التي اعترفت في احدى مراحل الصراع بولائها لبيزنطية .

وبدخول الفاطميين على الخط السياسي ،اعلن سيف الدولة طاعته لهم ،وايد محاولاتهم غزو مصر ،وبالتالي فأنه اتبع مذهب العلويين ،لكنه احتفظ بسيادته التامة على جميع ارجاء امارته .

الى جانب جهاده العسكري ونضاله السياسي ،اهتم سيف الدولة بالناحية الثقافية اهتماما بالغا .رعى الفنون والعلوم والشعر والادب ،فأزدهر عهده بطائفة من مشاهير العلماء والكتَّاب والشعراء كابي الفتح بن جني النحوي ،وابو الطيب المتنبي ،واشتهر كثير من الأمراء الحمدانيين بالشعركأبي فراس الحمداني ،ابن عم سيف الدولة ،وكان سيف الدولة نفسه يجيد الشعر .

توفي سيف الدولة في حلب عام (356هـ/967م) فخلفه ابنه سعد الدولة ثم حفيده سعيد الدولة اللذان احتفظا بحلب حتى عام (392هـ/1002م)عن طريق تحالفهما مع البيزنطيين دفعا لخطر الفاطميين ،الذين قضوا اخيرا على حكم الحمدانيين في حلب عام (406هـ/1015م) .

المصادر /

1- ابن العديم، زبد الحلب من تاريخ حلب
2- الثعالبي، يتيمة الدهر
3- ابن الاثير، الكامل في التاريخ
4- ابن تغري بردي ، النجوم الزاهرة.

الدولة الفاطمية (297-567هـ/910-1171م)

حكمت الدولة الفاطمية مايقارب 270عاما ،ابتدأت بعبيدالله المهدي وانتهت في اواخر ايام العاضد ،حيث زالت على يد صلاح الدين الايوبي .ولم تكن هذه المدة الزمنية على نمط واحد من حيث قدرات الدولة وقوة الحكام .ويمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل زمنية :

المرحلة الاولى :(297-362هـ/910-973م):

هي مرحلة التأسيس والتمهيد للانتقال الى مصر .فقد نقل الدعاة الفاطميون مركز دعوتهم من سلمية في بلاد الشام الى الشمال الشرقي من حمص الى افريقية ،استطاع عبيدالله ان يؤسس دولة فتية طموحة اخذت في النمو والتوسع .وتمتاز هذه المرحلة بنشر الدعوة الاسماعيلية في شمال افريقية تمكن حكام هذه المرحلة من نشر المذهب الاسماعيلي في مصر وانتقال المعز اليها بعد نجاح قائده جوهر الصقلي في الاستيلاء على مصر.

المرحلة الثانية :(362-487هـ/973-1094م)

هي مرحلة القوة والتوسع بأتجاه الشرق الاسلامي ،بلاد الشام ،الحجاز ،اليمن ،بالاضافة الى حكم مصر وصقلية وشمالي افريقية .

المرحلة الثالثة :(487-567هـ/1094-1171م)

هي مرحلة الضعف والزوال ،حيث برز الوزراء على حساب الحكام الفاطميين الذين فقدوا اختصاصاتهم ،وتقلص نفوذهم حتى انحصر داخل القصر ،في حين تقاسمت فرق الجند اقاليم الدولة .

قيام الدولة الفاطمية /

ارسل ابو القاسم الحسن الكوفي ،داعي الاسماعيليين في اليمن ،ابا عبدالله الداعي الحسين بن احمد ،الى بلاد المغرب في عام (288هـ/901م) لنشر الدعوة في هذه البلاد بعد وفاة داعي الاسماعيلية فيها

نجح ابو عبدالله الداعي في استقطاب جماعة من حجاج كتامة من البربر،وصحبهم الى بلاد المغرب ،حيث بث دعوته بين الناس،وقوي أمره بمن التف حوله من الاتباع ،واستولى على القيروان ،وأزال الدولة الاغلبية .

وبعد ان اضحى في عام (291هـ/904م) صاحب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة الى الغرب من مدينة القيروان ،ارسل الى عبيدالله المهدي في سلمية يدعوه للحضور الى افريقية لتسلم الامر .

والواقع ان نجاح الداعي ابي عبدالله في نشر الدعوة وسط قبيلة كتامة ،وما حققه من نصر على الاغالبة ؛اقنعت عبيدالله المهدي بقبول الدعوة ،فترك سلمية متنكرا بزي التجار وتوجه الى افريقية .ولم يكد يصل الى مدينة سجلماسة حتى انكشف امره ،فقبض عليه اميرها وسجنه ،غير أن ابا عبدالله الداعي أطلقه بالقوة ،واصطحبه الى مدينة رقادة حيث بويع له بالخلافة في (شهر ربيع الاخر عام 297هـ/شهر كانون الثاني عام 910م)وتلقب بالمهدي ،واضعا بذلك الاساس الذي قامت عليه الدولة الفاطمية .

والحقيقة ان عبيدالله المهدي لم يجلس على عرش الدولة الفاطمية في رقادة ،الابعد زوال الدولة الاغلبية في افريقية .والدولة المدرارية في سجلماسة ،والدولة الرستمية في تاهرت .

عبيدالله المهدي :297-322هـ/910-934م

ادرك عبيدالله المهدي ان دولته الناشئة بحاجة الى تدعيم واستقرار داخلي ،فقام بعدة اعمال كفلت له تثبيت اقدامه في الحكم منها :

اولا:وضع تنظيمات سياسية وادارية ودينية ومذهبية ،تنسجم مع تطلعات الاسماعيليين في تأسيس دولة علوية قوية .

ثانيا:تخلص من ابي عبدالله الداعي الذي كان له فضل ارتقائه الحكم .وذلك بعد بروز بوادر منافسة من جانبه على السلطة.

ثالثا:ارسل العمال الى الولايات ليحكموا بأسمه واختارهم من الاشخاص الذين يثق بهم .

رابعا: واجه الثورات التي قامت ضد حكمه بشجاعة واخمدها ،نذكر منها :المقاومة السنية في القصر القديم والقيروان وطرابلس ،وثورة سكان صقلية ،وثورة الوالي موسى بن ابي العافية في المغرب الاقصى .

خامسا.بنى عاصمة جديدة هي المهدية في عام (303هـ/915م) على طرف الساحل الشرقي لافريقية بالقرب من تونس ،وانتقل اليها في عام (308هـ/920م) مدفوعا بثلاثة عوامل:

1ـــ حرص على الابتعاد عن رقادة والقيروان ،مركز المقاومة السنية .

2ـــ ضعف نفوذ الفاطميين في داخل البلاد .

3ـــ مواجهة البيزنطينيين في البحر الذين مابرحوا يتحرشون بالفاطميين منطلقين من جنوب ايطاليا .

بعد استقرار الوضع الداخلي ،حاول عبيدالله المهدي ان يتوسع في اتجاهين متباعدين،ففي الشلرق طمع بأمتلاك مصر ،فأرسل اليها حملتين عسكريتين في عامي (301هـ/914م) و(307هـ/919م) جاءت نتائجهما فاشلة ،لان تلك البلاد الخاضعة للاخشيديين كانت من القوة بحيث استطاعت ان تصدهما.وكانت له علاقات عدائية مع القرامطة في البحرين بسبب تحديد نوع العلاقة بين الطرفين .اذ أن عبيدالله المهدي بوصفه الامام الفاطمي ،اخذ يملي ارادته على اتباعه ،ويشعرهم بسلطته المطلقة ،ويتدخل في تعيين رؤوسائهم وعزلهم .فنتج عن هذه السياسة نفور بين فروع الدعوة في المشرق وبين القادة في المغرب .

اما في الغرب فقد انطلقت القوات الفاطمية نحو المغرب الاقصى فأصطدمت بالادارسة والصنهاجيين واستولت على عاصمتهم نكور .وعلى الرغم من ذلك ،اسفرت السياسة التوسعية في المغرب الاقصى عن نتائج هزيلة ،واعترضتها عقبتان هما سياسة عبد الرحمن الناصر الاموي في الاندلس ،وتمرد الزناتيين .واضطر عبيدالله المهدي قبل وفاته ،الى قبول تمركز الخليفة الاموي في المغرب الاقصى ،وبقاء محمد بن خزر الزناتي في المغرب الاوسط .

توفي عبيدالله المهدي في مدينة المهدية في(ربيع الاول 322هـ/اذار 934م)

ابو القاسم محمد القائم :(322-334هـ/934-946م)

تولى ابو القاسم محمد بعد وفاة والده عبيدالله المهدي وتلقب بالقائم بأمر الله ،وقد انهمك في بداية حياته بالقضاء على ثورات الولاة الذين انتفضوا ضد الحكم الفاطمي وخاصة في المغرب الاقصى .وايضا ظهور ثورة الخوارج بقيادة ابي يزيد مخلد في مدينة توزر جنوب تونس في عام (333هـ /944م) وانتشرت ثورته وهدد مدينة المهدية . والواقع ان هذه الثورة تعبيرا عن السخط الذي ملأ قلوب اهل افريقية من محاولات الفاطميين فرض المذهب الاسماعيلي على الناس بالاضافة الى سياسة الفاطميين المالية المتعسفة .لكن القائم توفي قبل ان يقضي على هذه الثورة .كذلك طمع القائم بأمر الله بالاستيلاء على مصر ،تمهيدا للتمدد نحو الشرق ،فأرسل اليها الجيوش بين عامي (321-324هـ/ 933-936م) الاان محاولاته باءت بالفشل .عندئذ حاول التفاهم مع محمد بن طغج الاخشيد وحثه على نشر الدعوة الفاطمية في مصر . وكان الاخشيد يعاني انذاك من ضغط امير الامراء ابن رائق والخلافة العباسية ،فوجد في الفاطميين خير معين له ،فألغى الخطبة للعباسيين ، وأقامها للقائم الفاطمي .

الا ان تلك العلاقات الودية بين الفاطميين والاخشيد لم تستمر طويلا .ويبدو ان الاخشيد خشي من هجوم عباسي – حمداني على بلاده ،في الوقت الذي شعر فيه بطموح الفاطميين لامتلاك مصر ،فرأى ان من الافضل له البقاء تحت السيادة العباسية .ومع ذلك فأنه لم يعلن اي عداوة للفاطميين .ثم حدث ان انهمك القائم بأخضاع الثورات الداخلية ،وخاصة ثورة ابي يزيد الخارجي ،فشغل عن غزو مصر .ثم توفي القائم عام (334هـ/946م).

ابو طاهر اسماعيل المنصور :(334-341هـ/946-953م)

خلف ابو طاهر والده القائم بعد وفاته ولقب المنصور بالله ،واشتهر بالشجاعة ورباطة الجأش والتأثير في نفوس سامعيه ،بفصاحته وبلاغته وقدرته على ارتجال الخطب .

وقد اخفى المنصور موت ابيه حتى لايؤثر على معنويات جنوده المنهمكين بالقضاء على ثورة ابي يزيد الخارجي ،وقد ركز جهوده في اخمادها مما اثر على علاقاته مع مصر ،التي سادها جو من الهدوء ،ولم يتمكن من القضاء على ثورة ابي يزيد الا بعد ان استعان بقوات صنهاجية ،فقبض على ابي يزيد ،وسيق الى المهدية ،حيث مات متأثرا بجروحه ،عام (336هـ/947م)

وعمد المنصور بالله الى تخليد انتصاره بتأسيس عاصمته الجديدة المنصورية ،في العام التالي اي (337هـ/948م)على مقربة من القيروان .وقضى ماتبقى من حكمه في اعادة

تنظيم شؤون الدولة التي انهكتهاالثورة الخارجية ،فانشأ اسطولا كبيرا .توفي المنصور في عام (341هـ/953م).

المعز لدين الله :(341-365هـ/953-975م)

هو ابو تميم معد ،المعز لدين الله .تسلم الحكم عام 341هـ/953م ،خلفا لوالده .عمل على ا عادة فرض النفوذ الفاطمي في المغرب الاقصى على اثر الانتفاضات المتعددة التي قامت ضد النظام ،فأرسل قائده ومولاه جوهر الصقلي الى هناك على رأس حملة عسكرية كبيرة في عام (347هـ/958م) دمر خلالها مراكز المقاومة ضد الفاطميين بأستثناء المراكز التابعة للامويين في الاندلس ،فملك المغربين الاوسط والاقصى ،وثبت نفوذ الفاطميين حتى المحيط الاطلسي ،الا انه فشل في السيطرة على الثغور العسكرية الاموية المطلة على المضيق .

وتطلع المعز الى غزو الاندلس ،ورأى ان احتلاله لهذا البلد سوف يجعل المغرب الاسلامي كله خاضعا للفاطميين ،وبهذا ينقسم العالم الاسلامي الى قسمين ،القسم الشرقي التابع للخلافة العباسية ،والقسم الغربي التابع للدولة الفاطمية .

ويبدو ان الدعوة الفاطمية في الاندلس ،لم تستقطب سوى عدد محدود من الانصار بسبب تجذر المذهب السني في نفوس الاندلسيين .

على ان الحكومة الاموية في الاندلس لم تقف مكتوفة الايدي امام اطماع الفاطميين في المغرب والاندلس ،فقاومت المد الفاطمي بتدابير سياسية وعسكرية حدّت من اندفاعه.

واستغل المعز موقع جزيرة صقلية العسكري ليصد جميع الحملات التي كان يوجهها الامويون والبيزنطيون الى افريقية ،كما اتاح له مركزه القوي في الجزيرة مهاجمة سواحل ايطاليا الجنوبية .

وبعد ان دانت بلاد المغرب للمعز ،واستتب الامن في كافة ارجائها التفت الى مصر للاستيلاء عليها مدفوعا بعدة عوامل منها :

1- الاستفادة من ثروتها ومواردها الاقتصادية ،ذلك ان بلاد المغرب كانت لاتكفي حاجة الفاطميين الاقتصادية .
2- اهمية موقعها الجغرافي من الناحيتين السياسية والعسكرية .
3- قربها من بلاد الشام وفلسطين والحجاز التي كانت تابعة لمصر منذ عهد الطولونيين
4- ان استيلاء الفاطميين على مصر يمهد لهم الطريق لبسط نفوذهم على الحواظر الاسلامية مكة والمدينة ودمشق وبغداد .
5- انتشار الاضطرابات والفوضى في مصر اثر وفاة كافور الاخشيدي في عام

(357ه/968م) وعدم وجود شخصية قوية تخلفه ،من البيت الاخشيدي .

6- ضعف الخلافة العباسية وتراجع نفوذها في بلاد الشام ومصر .

7- تبين للمعز ان اوضاع دولته في شمالي افريقية ستبقى مزعزعة لان الناس في هذه البلاد كانوا يكرهون الدولة الفاطمية ،وقبيلة كتامة لم تعد على وفائها الاول للبيت الفاطمي ،وسكان المغرب الاوسط ساخطون على الاسرة الفاطمية التي لم يروا منها سوى الاذى والنهب،وكان على الدولة ان تخوض صراعا مكلفا في المغرب الاقصى مع دولة الخلافة الاموية القوية في الاندلس .

اختار المعز ابا الحسن جوهر الصقلي لقيادة جيشه الذي ارسله الى الشرق في عام(358هـ/969م)فدخل مصر دون مقاومة تذكر وتسلم الحكم ،واعطى الامان لاهلها ،وبذل جهدا مضنيا في استرضاء شيوخ المصريين .

والواقع ان استيلاء الفاطميين على مصر كان انقلابا حقيقيا من النواحي الدينية المذهبية ،والثقافية ،والاجتماعية ،صحبه تحول ظاهر في نظام الحكم الذي دان بالمذهب الاسماعيلي .ومع دخول الفاطميين الى مصر تزايد دورهم في العالم الاسلامي .

حكم جوهر الصقلي مصر ،نيابة عن المعز الفاطمي ،مدة اربع سنوات تقريبا (358-362هـ/969-973م) واقترن اسمه بالمحاولات التي بذلها لبسط سلطانه على بلاد الشام ،حيث ارسل قائده جعفر بن فلاح ،فأستولى على الرملة ،ودمشق ،وأقام الخطبة فيها للمعز ،وواجه البيزنطيين في انطاكية ،واعترف الحمدانيون في حلب بالدولة الفاطمية .

ولعل اهم انجازاته ،تلك المنشأت الكبيرة التي تمت في عهده ،وفي مقدمتها تأسيس مدينة القاهرة التي اقام فيها قصر مولاه ،والجامع الازهر .ثم اخذ ينشر المذهب الاسماعيلي بين المصريين متبعا في ذلك الوسائل السلمية .فألغى الخطبة للخليفة العباسي وأقامها للمعز ،وضرب السكة بأسمه ،ومنع لبس السواد شعار العباسيين ،وفرض الملابس الخضراءشعار العلويين .

وعندما اضحت الظروف مهيأة لاستقبال المعز في القاهرة ،كتب جوهر اليه للحضور الى مصر لتولي شؤونها ،فوصل اليها في رمضان سنة 362ه/حزيران973م) وبأنتقال المعز الى مصر تنتهي المرحلة الاولى من مراحل التاريخ الفاطمي .

المرحلة الثانية /مرحلة القوة والتوسع (262-487هـ/973-1094م)

سياسة المعز الداخلية

اهتم المعز بعد تسلمه الحكم في مصر ،بنشر الدعوة الاسماعيلية بما عرف عنه من تقوى وورع ،ووضع لذلك نظاما دقيقا كي يسير عليه دعاته ،الا انه ادر كان مصر بما فيها من مسلمين سنة وذميين لن تكون ارضا خصبة للتبشير ،لذلك لم يعمد الى نشر الدعوة الفاطمية الا في نطاق محدود .واستعاض عن تحويل مسلمي مصر السنيين الى المذهب الاسماعيلي ،بأستقطاب اهل الذمة ،فأسند اليهم مناصب الدولة العليا .وامعن في اظهار الشعائر الدينية المخالفة لشعائر اهل السنة ،كالاذان بـ(حي على خير العمل) والاحتفال بيوم عاشوراء وعيد الغدير ،واقترن ذلك بأعتداءات على اهل السنة الذين قاموا بأظهار شعائرهم في خطوة مضادة ،وعلى الرغم من انه لم يكن ميالا الى حياة الترف ،الا انه يعد اول من استن الفخامة والابهة في حياة الفاطميين .

سياسة المعز الخارجية :

بعد ان اصبحت القاهرة مقر الدولة ،تطلع المعز الى بسط نفوذه على بلاد الحجاز ليكسب حكمه قوة امام العالم الاسلامي .ذلك ان السيادة على الحرمين الشريفين مكة والمدينة ،عدت من مستلزمات الخلافة ،وان من يظفر بها يعد خليفة المسلمين الحقيقي .فتدخل المعز في النزاعات الداخلية التي كانت قائمة هناك ،فأرسل رسولا من قبله لفض الخلافات بين بني الحسن وبني جعفر بن ابي طالب .ثم بادر حسن بن جعفر الحسني ،فأستولى على مكة ودعا للمعز على منابرها ،فبعث اليه المعز تقليدا بالحرم واعماله .كذلك اقيمت الخطبة للمعز في المدينة ،وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في كل من المدينتين المقدستين .

اما في بلاد الشام فقد واجه الحكم الفاطمي ثلاثة اخطار ،تمثل الخطر الاول بخروج القرامطة بعد ان استنجد بهم اهل دمشق ليخلصوهم من الحكم الفاطمي ،واشتبك الحسن بن احمد القرمطي الملقب بالاعصم مع القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في قرية الدكة قرب دمشق ،وتغلب عليه وقتله ،واستولى القرامطة على دمشق ،وأمر زعيمهم بلعن المعز ،وتابع زحفه بأتجاه مصر في عام (363هـ/974م) وهدد القاهرة الا انه رد على اعقابه .اما الخطر الثاني فتمثل بخروج افتكين التركي من بغداد الى دمشق لطرد الفاطميين منها ،وكانوا قد اعادوا سيطرتهم عليها اثر انهزام القرامطة وانسحابهم منها ،واقام الخطبة للخليفة العباسي ،ونجح في دخول المدينة بغير قتال ،وخرج الفاطميون منها .

اما الخطر الثالث فتمثل بمحاولة البيزنطيين استعادة نفوذهم في بلاد الشام ،فأستغلوا تضعضع اوضاع هذه البلاد ،فهاجموا دمشق ،وانتشروا في ربوعها يسلبون ويقتلون ،فصرفهم افتكين عنها بما بذل لهم من المال ،كما هاجموا المدن الساحلية .وتجدد في ذلك الوقت خطر القرامطة ،ويبدوا ان افتكين قد استنجد بهم لمقاومة الضغط الفاطمي المتجدد على دمشق .وقرر الطرفان طرد الفاطميين نهائيا من بلاد الشام ،فهاجم القرامطة يافا وصيدا وعكا ،وتفاقم خطرهم .وتوفي المعز قبل ان يتمكن من وضع حد لهذه الاخطار .

واهتم المعز بتقوية البحرية الفاطمية ،ولاشك بأن وضعه في مصر فرض عليه ان يقوم بهذا العمل ،فبنى الشواتي الضخمة ،والسفن الحربية المختلفة ،وهو اول من وضع نظام البحرية الفاطمية في مصر . توفي المعز الفاطمي سنة (365هـ/975م).

ابو منصور نزار (العزيز):365-386هـ/975-996م

خلف العزيز بالله اباه المعز الفاطمي ،وهو في الثانية والعشرين من عمره ،واتبع السياسة نفسها التي انتهجها اباؤه واجداده ،ويعد عهده عهد يسر ورخاء ،وارساء دعائم الدولة الفاطمية ،وذلك بفضل مساعدة جوهر الصقلي والوزير يعقوب بن كلس .كان العزيز رجلا ممتعا يميل الى الايهة والترف ،جوادا ،حليما ،حتى كان يصفح عن اعدائه على الرغم من انتصاره عليهم ،شغوفا بأقتناء الطيور والحيوانات ،مغرما بالصيد ، ذكيا ،اديبا ،يجيد عدة لغات ،وضع تقاليد فاطمية جديدة في المظاهر والرسوم .

اعتنى بنشر المذهب الاسماعيلي في مصر ،وامتاز عهده بعدة خطوات جريئة في هذا الشأن ،فأمر القضاة ان يصدروا احكامهم وفق هذا المذهب ،وعين الشيعة في المناصب الهامة ،واضحى لزاما على الموظفين ان يسيروا وفقا لاحكام المذهب الاسماعيلي والا فقدوا وظائفهم .واتخذ من المساجد الكبرى في مصر مراكز للدعاية للمذهب ،وحول الجامع الازهر الى جامعة تقوم بتدريس الفقه الاسماعيلي ،وعمل على ابراز الشعائر العلوية مثل اضافة عبارة (حي على خير العمل)في الاذان بالاضافة الى الاحتفال بيوم عاشوراء والغدير ،وابطل صلاة التراويح من جميع مساجد مصر .

امتاز عهده ايضا بالعطف على اهل الذمة النصارى واليهود ويبدو انه كان متأثرا بزوجته النصرانية .فرفعهم الى مرتبة الوزارة ،وقلدهم ارفع مناصب الدولة .

الواضح ان سياسة الدولة الفاطمية كانت تهدف الى السيطرة على كامل بلاد الشام وما يتبع ذلك من نشر المذهب الاسماعيلي ،فكان لزاما ان تصطدم بالقوى المختلفة التي تتنازع الحكم فيها ،مثل بني الجراح في فلسطين ،والحمدانيين في حلب ،والدولة العباسية الحريصة على مناوأة الفاطميين ،والدولة البيزنطية الطامعة في استرداد بلاد الشام ... وهكذا .

اما النفوذ الفاطمي في مكة والمدينة ،فيبدوانه لم يكن مستقرا طوال عهد العزيز الفاطمي ،فقد دعا امير حاج العراق لعضد الدولة البويهي في عام (380هـ/990م) فأضطر العزيز الى ارسال حملة حاصرت المدينتين المقدستين ،واعادت الخطبة للفاطميين،وقطعت الدعوة للعباسيين .

اتصفت العلاقة مع الخلافة العباسية بالسياسية،وجرى تبادل الرسائل بين عضد الدولة البويهي المتغلب على مقدرات الخلافة في بغداد وبين العزيز.فقد ارسل العزيز رسولا الى بغداد ولم يقم بأي محاولة للتحرش بالخلافة العباسية ،الا انه لم يدخر جهدا في سبيل نشر الدعوة الفاطمية في العراق ،فأقيمت له الدعوة في الموصل على يد اميرها ابي الدرداء محمد بن المسيب العقيلي في عام (382هـ/992م).

وقد تعاقب على حكم الدولة الفاطمية العديد من الحكام لايسع المجال لذكرهم جميعا ،فهي مدة طويلة . فنذكر ان السنوات الاخيرة من عمر الدولة الفاطمية كانت عبارة عن سلسلة من الصراعات والحروب بين ولاة الاقاليم المتنافسين على السلطة ،والقوى الخارجية التي استعانوا بها لتثبيت اقدامهم في الحكم ،واتسمت سياسة هؤلاء الولاة بالتقلبات السريعة

وكانت نهاية الدولة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين الايوبي الذي نفذ سياسة تهدف الى تثبيت مركزه في مصر ،واعادة هذا البلد الى حظيرة الخلافة العباسية .فقطعت الخطبة للعاضد الفاطمي في عام (567هـ/1171 م)وخطب للخليفة العباسي المستضيء ،ولم تمضي ايام على قطع الخطبة للفاطميين ،حتى توفي العاضد ،آخر الحكام الفاطميين في مصر ،وانتهت الدولة الفاطمية بوفاته .

المصادر /

ابن الاثير ،الكامل في التاريخ

1- ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون
2- ابن خلكان ،وفيات الاعيان
3- ابن عذاري ،البيان المغرب

4- المقريزي ،اتعاظ الحنفا
5- القلقشندي ،صبح الاعشى
6- طقوش ،التاريخ الاسلامي الوجيز

الدولة الفاطمية (297-567ه/910-1171م)(المحاضرة الاولى)

حكمت الدولة الفاطمية مايقارب 270عاما ،ابتدأت بعبيدالله المهدي وانتهت في اواخر ايام العاضد ،حيث زالت على يد صلاح الدين الايوبي .ولم تكن هذه المدة الزمنية على نمط واحد من حيث قدرات الدولة وقوة الحكام .ويمكن تقسيمها الى ثلاث مراحل زمنية :

المرحلة الاولى :(297-362ه/910-973م):

هي مرحلة التأسيس والتمهيد للانتقال الى مصر .فقد نقل الدعاة الفاطميون مركز دعوتهم من سلمية في بلاد الشام الى الشمال الشرقي من حمص الى افريقية ،استطاع عبيدالله ان يؤسس دولة فتية طموحة اخذت في النمو والتوسع .وتمتاز هذه المرحلة بنشر الدعوة الاسماعيلية في شمال افريقية تمكن حكام هذه المرحلة من نشر المذهب الاسماعيلي في مصر وانتقال المعز اليها بعد نجاح قائده جوهر الصقلي في الاستيلاء على مصر.

المرحلة الثانية :(362-487ه/973-1094م)

هي مرحلة القوة والتوسع بأتجاه الشرق الاسلامي ،بلاد الشام ،الحجاز ،اليمن ،بالاضافة الى حكم مصر وصقلية وشمالي افريقية .

المرحلة الثالثة :(487-567ه/1094-1171م)

هي مرحلة الضعف والزوال ،حيث برز الوزراء على حساب الحكام الفاطميين الذين فقدوا اختصاصاتهم ،وتقلص نفوذهم حتى انحصر داخل القصر ،في حين تقاسمت فرق الجند اقاليم الدولة .

قيام الدولة الفاطمية /

ارسل ابو القاسم الحسن الكوفي ،داعي الاسماعيليين في اليمن ،ابا عبدالله الداعي الحسين بن احمد ،الى بلاد المغرب في عام (288ه/901م) لنشر الدعوة في هذه البلاد بعد وفاة داعي الاسماعيلية فيها

نجح ابو عبدالله الداعي في استقطاب جماعة من حجاج كتامة من البربر،وصحبهم الى بلاد المغرب ،حيث بث دعوته بين الناس،وقوي أمره بمن التف حوله من الاتباع ،واستولى على القيروان ،وأزال الدولة الاغلبية .

وبعد ان اضحى في عام (291ه/904م) صاحب السلطان المطلق في جميع الجهات الواقعة الى الغرب من مدينة القيروان ،ارسل الى عبيدالله المهدي في سلمية يدعوه للحضور الى افريقية لتسلم الامر .

والواقع ان نجاح الداعي ابي عبدالله في نشر الدعوة وسط قبيلة كتامة ،وما حققه من نصر على الاغالبة ؛اقنعت عبيدالله المهدي بقبول الدعوة ،فترك سلمية متنكرا بزي التجار وتوجه الى افريقية .ولم يكد يصل الى مدينة سجلماسة حتى انكشف امره ،فقبض عليه اميرها وسجنه ،غير أن ابا عبدالله الداعي أطلقه بالقوة ،واصطحبه الى مدينة رقادة حيث بويع له بالخلافة في (شهر ربيع الاخر عام 297/شهر كانون الثاني عام 910م)وتلقب بالمهدي ،واضعا بذلك الاساس الذي قامت عليه الدولة الفاطمية .

والحقيقة ان عبيدالله المهدي لم يجلس على عرش الدولة الفاطمية في رقادة ،الابعد زوال الدولة الاغلبية في افريقية .والدولة المدرارية في سجلماسة ،والدولة الرستمية في تاهرت .

عبيدالله المهدي :297-322ه/910-934م

ادرك عبيدالله المهدي ان دولته الناشئة بحاجة الى تدعيم واستقرار داخلي ،فقام بعدة اعمال كفلت له تثبيت اقدامه في الحكم منها :

اولا:وضع تنظيمات سياسية وادارية ودينية ومذهبية ،تنسجم مع تطلعات الاسماعيليين في تأسيس دولة علوية قوية .

ثانيا:تخلص من ابي عبدالله الداعي الذي كان له فضل ارتقائه الحكم .وذلك بعد بروز بوادر منافسة من جانبه على السلطة.

ثالثا:ارسل العمال الى الولايات ليحكموا بأسمه واختارهم من الاشخاص الذين يثق بهم .

رابعا: واجه الثورات التي قامت ضد حكمه بشجاعة واخمدها ،نذكر منها :المقاومة السنية في القصر القديم والقيروان وطرابلس ،وثورة سكان صقلية ،وثورة الوالي موسى بن ابي العافية في المغرب الاقصى .

خامسا.بنى عاصمة جديدة هي المهدية في عام (303ه/915م) على طرف الساحل الشرقي لافريقية بالقرب من تونس ،وانتقل اليها في عام (308ه/920م) مدفوعا بثلاثة عوامل:

1ــ حرص على الابتعاد عن رقادة والقيروان ،مركز المقاومة السنية .

2ــ ضعف نفوذ الفاطميين في داخل البلاد .

3ــ مواجهة البيزنطينيين في البحر الذين مابرحوا يتحرشون بالفاطميين منطلقين من جنوب ايطاليا .

بعد استقرار الوضع الداخلي ،حاول عبيدالله المهدي ان يتوسع في اتجاهين متباعدين،ففي الشلرق طمع بأمتلاك مصر ،فأرسل اليها حملتين عسكريتين في عامي (301ه/914م) و(307ه/919م) جاءت نتائجهما فاشلة ،لان تلك البلاد الخاضعة للاخشيديين كانت من القوة بحيث استطاعت ان تصدهما.وكانت له علاقات عدائية مع القرامطة في البحرين بسبب تحديد نوع العلاقة بين الطرفين .اذ أن عبيدالله المهدي بوصفه الامام الفاطمي ،اخذ يملي ارادته على اتباعه ،ويشعرهم بسلطته المطلقة ،ويتدخل في تعيين رؤوسائهم وعزلهم .فنتج عن هذه السياسة نفور بين فروع الدعوة في المشرق وبين القادة في المغرب .

اما في الغرب فقد انطلقت القوات الفاطمية نحو المغرب الاقصى فأصطدمت بالادارسة والصنهاجيين واستولت على عاصمتهم نكور .وعلى الرغم من ذلك ،اسفرت السياسة التوسعية في المغرب الاقصى عن نتائج هزيلة ،واعترضتها عقبتان هما سياسة عبد الرحمن الناصر الاموي في الاندلس ،وتمرد الزناتيين .واضطر عبيدالله المهدي قبل وفاته ،الى قبول تمركز الخليفة الاموي في المغرب الاقصى ،وبقاء محمد بن خزر الزناتي في المغرب الاوسط .

توفي عبيدالله المهدي في مدينة المهدية في(ربيع الاول 322ه/اذار 934م)

الدولة الفاطمية (297-567ه/910-1171م)(المحاضرة الثانية)

ابو القاسم محمد القائم :(322-334ه/934-946م)

تولى ابو القاسم محمد بعد وفاة والده عبيدالله المهدي وتلقب بالقائم بأمر الله ،وقد انهمك في بداية حياته بالقضاء على ثورات الولاة الذين انتفضوا ضد الحكم الفاطمي وخاصة في المغرب الاقصى .وايضا ظهور ثورة الخوارج بقيادة ابي يزيد مخلد في مدينة توزر جنوب تونس في عام (333ه /944م) وانتشرت ثورته وهدد مدينة المهدية . والواقع ان هذه الثورة تعبيرا عن السخط الذي ملأ

قلوب اهل افريقية من محاولات الفاطميين فرض المذهب الاسماعيلي على الناس بالاضافة الى سياسة الفاطميين المالية المتعسفة .لكن القائم توفي قبل ان يقضي على هذه الثورة .كذلك طمع القائم بأمر الله بالاستيلاء على مصر ،تمهيدا للتمدد نحو الشرق ،فأرسل اليها الجيوش بين عامي (321-324ه/ 933-936م) الاان محاولاته باءت بالفشل .عندئذ حاول التفاهم مع محمد بن طغج الاخشيد وحثه على نشر الدعوة الفاطمية في مصر . وكان الاخشيد يعاني انذاك من ضغط امير الامراء ابن رائق والخلافة العباسية ،فوجد في الفاطميين خير معين له ،فألغى الخطبة للعباسيين ، وأقامها للقائم الفاطمي .

الا ان تلك العلاقات الودية بين الفاطميين والاخشيد لم تستمر طويلا .ويبدو ان الاخشيد خشي من هجوم عباسي – حمداني على بلاده ،في الوقت الذي شعر فيه بطموح الفاطميين لامتلاك مصر ،فرأى ان من الافضل له البقاء تحت السيادة العباسية .ومع ذلك فأنه لم يعلن اي عداوة للفاطميين .ثم حدث ان انهمك القائم بأخضاع الثورات الداخلية ،وخاصة ثورة ابي يزيد الخارجي ،فشغل عن غزو مصر .ثم توفي القائم عام (334ه/946م).

ابو طاهر اسماعيل المنصور :(334-341ه/946-953م)

خلف ابو طاهر والده القائم بعد وفاته ولقب المنصور بالله ،واشتهر بالشجاعة ورباطة الجأش والتأثير في نفوس سامعيه ،بفصاحته وبلاغته وقدرته على ارتجال الخطب .

وقد اخفى المنصور موت ابيه حتى لايؤثر على معنويات جنوده المنهمكين بالقضاء على ثورة ابي يزيد الخارجي ،وقد ركز جهوده في اخمادها مما اثر على علاقاته مع مصر ،التي سادها جو من الهدوء ،ولم يتمكن من القضاء على ثورة ابي يزيد الا بعد ان استعان بقوات صنهاجية ،فقبض على ابي يزيد ،وسيق الى المهدية ،حيث مات متأثرا بجروحه ،عام (336ه/947م)

وعمد المنصور بالله الى تخليد انتصاره بتأسيس عاصمته الجديدة المنصورية ،في العام التالي اي (337ه/948م)على مقربة من القيروان .وقضى ماتبقى من حكمه في اعادة تنظيم شؤون الدولة التي انهكتهاالثورة الخارجية ،فانشأ اسطولا كبيرا .توفي المنصور في عام (341ه/953م).

الدولة الفاطمية (297-567ه/910-1171م)(المحاضرة الثالثة)

المعز لدين الله :(341-365ه/953-975م)

هو ابو تميم معد ،المعز لدين الله .تسلم الحكم عام 341ه/953م ،خلفا لوالده .عمل على ا عادة فرض النفوذ الفاطمي في المغرب الاقصى على اثر الانتفاضات المتعددة التي قامت ضد النظام ،فأرسل قائده ومولاه جوهر الصقلي الى هناك على رأس حملة عسكرية كبيرة في عام (347ه/958م) دمر خلالها مراكز المقاومة ضد الفاطميين بأستثناء المراكز التابعة للامويين في الاندلس ،فملك المغربين الاوسط والاقصى ،وثبت نفوذ الفاطميين حتى المحيط الاطلسي ،الا انه فشل في السيطرة على الثغور العسكرية الاموية المطلة على المضيق .

وتطلع المعز الى غزو الاندلس ،ورأى ان احتلاله لهذا البلد سوف يجعل المغرب الاسلامي كله خاضعا للفاطميين ،وبهذا ينقسم العالم الاسلامي الى قسمين ،القسم الشرقي التابع للخلافة العباسية ،والقسم الغربي التابع للدولة الفاطمية .

ويبدو ان الدعوة الفاطمية في الاندلس ،لم تستقطب سوى عدد محدود من الانصار بسبب تجذر المذهب السني في نفوس الاندلسيين .

على ان الحكومة الاموية في الاندلس لم تقف مكتوفة الايدي امام اطماع الفاطميين في المغرب والاندلس ،فقاومت المد الفاطمي بتدابير سياسية وعسكرية حدّت من اندفاعه.

واستغل المعز موقع جزيرة صقلية العسكري ليصد جميع الحملات التي كان يوجهها الامويون والبيزنطيون الى افريقية ،كما اتاح له مركزه القوي في الجزيرة مهاجمة سواحل ايطاليا الجنوبية .

وبعد ان دانت بلاد المغرب للمعز ،واستتب الامن في كافة ارجائها التفت الى مصر للاستيلاء عليها مدفوعا بعدة عوامل منها :

الاستفادة من ثروتها ومواردها الاقتصادية ،ذلك ان بلاد المغرب كانت لاتكفي حاجة الفاطميين الاقتصادية .

اهمية موقعها الجغرافي من الناحيتين السياسية والعسكرية .

قربها من بلاد الشام وفلسطين والحجاز التي كانت تابعة لمصر منذ عهد الطولونيين

ان استيلاء الفاطميين على مصر يمهد لهم الطريق لبسط نفوذهم على الحواظر الاسلامية مكة والمدينة ودمشق وبغداد .

انتشار الاضطرابات والفوضى في مصر اثر وفاة كافور الاخشيدي في عام (357ه/968م) وعدم وجود شخصية قوية تخلفه ،من البيت الاخشيدي .

ضعف الخلافة العباسية وتراجع نفوذها في بلاد الشام ومصر .

تبين للمعز ان اوضاع دولته في شمالي افريقية ستبقى مزعزعة لان الناس في هذه البلاد كانوا يكرهون الدولة الفاطمية ،وقبيلة كتامة لم تعد على وفائها الاول للبيت الفاطمي ،وسكان المغرب الاوسط ساخطون على الاسرة الفاطمية التي لم يروا منها سوى الاذى والنهب،وكان على الدولة ان تخوض صراعا مكلفا في المغرب الاقصى مع دولة الخلافة الاموية القوية في الاندلس .

اختار المعز ابا الحسن جوهر الصقلي لقيادة جيشها الذي ارسله الى الشرق في عام 358(ه/969م)فدخل مصر دون مقاومة تذكر وتسلم الحكم ،واعطى الامان لاهلها ،وبذل جهدا مضنيا في استرضاء شيوخ المصريين .

والواقع ان استيلاء الفاطميين على مصر كان انقلابا حقيقيا من النواحي الدينية المذهبية ،والثقافية ،والاجتماعية ،صحبه تحول ظاهر في نظام الحكم الذي دان بالمذهب الاسماعيلي .ومع دخول الفاطميين الى مصر تزايد دورهم في العالم الاسلامي .

حكم جوهر الصقلي مصر ،نيابة عن المعز الفاطمي ،مدة اربع سنوات تقريبا (358-362ه/969-973م) واقترن اسمه بالمحاولات التي بذلها لبسط سلطانه على بلاد الشام ،حيث ارسل قائده جعفر بن فلاح ،فأستولى على الرملة ،ودمشق ،وأقام الخطبة فيها للمعز ،وواجه البيزنطيين في انطاكية ،واعترف الحمدانيون في حلب بالدولة الفاطمية .

ولعل اهم انجازاته ،تلك المنشأت الكبيرة التي تمت في عهده ،وفي مقدمتها تأسيس مدينة القاهرة التي اقام فيها قصر مولاه ،والجامع الازهر .ثم اخذ ينشر المذهب الاسماعيلي بين المصريين متبعا في ذلك الوسائل السلمية .فألغى الخطبة للخليفة العباسي وأقامها للمعز ،وضرب السكة بأسمه ،ومنع لبس السواد شعار العباسيين ،وفرض الملابس الخضراءشعار العلويين .

وعندما اضحت الظروف مهيأة لاستقبال المعز في القاهرة ،كتب جوهر اليه للحضور الى مصر لتولي شؤونها ،فوصل اليها في رمضان سنة

362ه/حزيران973م) وبأنتقال المعز الى مصر تنتهي المرحلة الاولى من مراحل التاريخ الفاطمي .

المرحلة الثانية /مرحلة القوة والتوسع (262-487ه/973-1094م)

سياسة المعز الداخلية

اهتم المعز بعد تسلمه الحكم في مصر ،بنشر الدعوة الاسماعيلية بما عرف عنه من تقوى وورع ،ووضع لذلك نظاما دقيقا كي يسير عليه دعاته ،الا انه ادر كان مصر بما فيها من مسلمين سنة وذميين لن تكون ارضا خصبة للتبشير ،لذلك لم يعمد الى نشر الدعوة الفاطمية الا في نطاق محدود .واستعاض عن تحويل مسلمي مصر السنيين الى المذهب الاسماعيلي ،بأستقطاب اهل الذمة ،فأسند اليهم مناصب الدولة العليا .وامعن في اظهار الشعائر الدينية المخالفة لشعائر اهل السنة ،كالاذان بـ(حي على خير العمل) والاحتفال بيوم عاشوراء وعيد الغدير ،واقترن ذلك بأعتداءات على اهل السنة الذين قاموا بأظهار شعائرهم في خطوة مضادة ،وعلى الرغم من انه لم يكن ميالا الى حياة الترف ،الا انه يعد اول من استن الفخامة والابهة في حياة الفاطميين .

سياسة المعز الخارجية :

بعد ان اصبحت القاهرة مقر الدولة ،تطلع المعز الى بسط نفوذه على بلاد الحجاز ليكسب حكمه قوة امام العالم الاسلامي .ذلك ان السيادة على الحرمين الشريفين مكة والمدينة ،عدت من مستلزمات الخلافة ،وان من يظفر بها يعد خليفة المسلمين الحقيقي .فتدخل المعز في النزاعات الداخلية التي كانت قائمة هناك ،فأرسل رسولا من قبله لفض الخلافات بين بني الحسن وبني جعفر بن ابي طالب .ثم بادر حسن بن جعفر الحسني ،فأستولى على مكة ودعا للمعز على منابرها ،فبعث اليه المعز تقليدا بالحرم واعماله .كذلك اقيمت الخطبة للمعز في المدينة ،وحذف اسم الخليفة العباسي من الخطبة في كل من المدينتين المقدستين .

اما في بلاد الشام فقد واجه الحكم الفاطمي ثلاثة اخطار ،تمثل الخطر الاول بخروج القرامطة بعد ان استنجد بهم اهل دمشق ليخلصوهم من الحكم الفاطمي ،واشتبك الحسن بن احمد القرمطي الملقب بالاعصم مع القائد الفاطمي جعفر بن فلاح في قرية الدكة قرب دمشق ،وتغلب عليه وقتله ،واستولى القرامطة على دمشق ،وأمر زعيمهم بلعن المعز ،وتابع زحفه بأتجاه مصر في عام (363ه/974م) وهدد القاهرة الا انه رد على اعقابه .اما الخطر الثاني فتمثل بخروج افتكين التركي من بغداد الى دمشق لطرد الفاطميين منها ،وكانوا قد اعادوا

سيطرتهم عليها اثر انهزام القرامطة وانسحابهم منها ،واقام الخطبة للخليفة العباسي ،ونجح في دخول المدينة بغير قتال ،وخرج الفاطميون منها .

اما الخطر الثالث فتمثل بمحاولة البيزنطيين استعادة نفوذهم في بلاد الشام ،فأستغلوا تضعضع اوضاع هذه البلاد ،فهاجموا دمشق ،وانتشروا في ربوعها يسلبون ويقتلون ،فصرفهم افتكين عنها بما بذل لهم من المال ،كما هاجموا المدن الساحلية .وتجدد في ذلك الوقت خطر القرامطة ،ويبدوا ان افتكين قد استنجد بهم لمقاومة الضغط الفاطمي المتجدد على دمشق .وقرر الطرفان طرد الفاطميين نهائيا من بلاد الشام ،فهاجم القرامطة يافا وصيدا وعكا ،وتفاقم خطرهم .وتوفي المعز قبل ان يتمكن من وضع حد لهذه الاخطار .

واهتم المعز بتقوية البحرية الفاطمية ،ولاشك بأن وضعه في مصر فرض عليه ان يقوم بهذا العمل ،فبنى الشواتي الضخمة ،والسفن الحربية المختلفة ،وهو اول من وضع نظام البحرية الفاطمية في مصر . توفي المعز الفاطمي سنة (365ه/975م).

الدولة الفاطمية (297-567ه/910-1171م)(المحاضرة الرابعة)

ابو منصور نزار (العزيز):365-386ه/975-996م

خلف العزيز بالله اباه المعز الفاطمي ،وهو في الثانية والعشرين من عمره ،واتبع السياسة نفسها التي انتهجها اباؤه واجداده ،ويعد عهده عهد يسر ورخاء ،وارساء دعائم الدولة الفاطمية ،وذلك بفضل مساعدة جوهر الصقلي والوزير يعقوب بن كلس .كان العزيز رجلا ممتعا يميل الى الايهة والترف ،جوادا ،حليما ،حتى كان يصفح عن اعدائه على الرغم من انتصاره عليهم ،شغوفا بأقتناء الطيور والحيوانات ،مغرمابالصيد ، ذكيا ،اديبا ،يجيد عدة لغات ،وضع تقاليد فاطمية جديدة في المظاهر والرسوم .

اعتنى بنشر المذهب الاسماعيلي في مصر ،وامتاز عهده بعدة خطوات جريئة في هذا الشأن ،فأمر القضاة ان يصدروا احكامهم وفق هذا المذهب ،وعين الشيعة في المناصب الهامة ،واضحى لزاما على الموظفين ان يسيروا وفقا لاحكام المذهب الاسماعيلي والا فقدوا وظائفهم .واتخذ من المساجد الكبرى في مصر مراكز للدعاية للمذهب ،وحول الجامع الازهر الى جامعة تقوم بتدريس الفقه الاسماعيلي ،وعمل على ابراز الشعائر العلوية مثل اضافة عبارة (حي على خير العمل)في الاذان بالاضافة الى الاحتفال بيوم عاشوراء والغدير ،وابطل صلاة التراويح من جميع مساجد مصر .

امتاز عهده ايضا بالعطف على اهل الذمة النصارى واليهود ويبدو انه كان متأثرا بزوجته النصرانية .فرفعهم الى مرتبة الوزارة ،وقلدهم ارفع مناصب الدولة .

الواضح ان سياسة الدولة الفاطمية كانت تهدف الى السيطرة على كامل بلاد الشام وما يتبع ذلك من نشر المذهب الاسماعيلي ،فكان لزاما ان تصطدم بالقوى المختلفة التي تتنازع الحكم فيها ،مثل بني الجراح في فلسطين ،والحمدانيين في حلب ،والدولة العباسية الحريصة على مناوأة الفاطميين ،والدولة البيزنطية الطامعة في استرداد بلاد الشام ... وهكذا .

اما النفوذ الفاطمي في مكة والمدينة ،فيبدوانه لم يكن مستقرا طوال عهد العزيز الفاطمي ،فقد دعا امير حاج العراق لعضد الدولة البويهي في عام (380ه/990م) فأضطر العزيز الى ارسال حملة حاصرت المدينتين المقدستين ،واعادت الخطبة للفاطميين،وقطعت الدعوة للعباسيين .

اتصفت العلاقة مع الخلافة العباسية بالسياسية،وجرى تبادل الرسائل بين عضد الدولة البويهي المتغلب على مقدرات الخلافة في بغداد وبين العزيز.فقد ارسل العزيز رسولا الى بغداد ولم يقم بأي محاولة للتحرش بالخلافة العباسية ،الا انه لم يدخر جهدا في سبيل نشر الدعوة الفاطمية في العراق ،فأقيمت له الدعوة في الموصل على يد اميرها ابي الدرداء محمد بن المسيب العقيلي في عام (382ه/992م).

وقد تعاقب على حكم الدولة الفاطمية العديد من الحكام لايسع المجال لذكرهم جميعا ،فهي مدة طويلة . فنذكر ان السنوات الاخيرة من عمر الدولة الفاطمية كانت عبارة عن سلسلة من الصراعات والحروب بين ولاة الاقاليم المتنافسين على السلطة ،والقوى الخارجية التي استعانوا بها لتثبيت اقدامهم في الحكم ،واتسمت سياسة هؤلاء الولاة بالتقلبات السريعة

وكانت نهاية الدولة الفاطمية في مصر على يد صلاح الدين الايوبي الذي نفذ سياسة تهدف الى تثبيت مركزه في مصر ،واعادة هذا البلد الى حظيرة الخلافة العباسية .فقطعت الخطبة للعاضد الفاطمي في عام (567ه/1171 م) وخطب للخليفة العباسي المستضيء ،ولم تمضي ايام على قطع الخطبة للفاطميين ،حتى توفي العاضد ،آخر الحكام الفاطميين في مصر ،وانتهت الدولة الفاطمية بوفاته

المصادر /

ابن الاثير ،الكامل في التاريخ

ابن خلدون ،تاريخ ابن خلدون

ابن خلكان ،وفيات الاعيان

ابن عذاري ،البيان المغرب

المقريزي ،اتعاظ الحنفا

القلقشندي ،صبح الاعشى

طقوش ،التاريخ الاسلامي الوجيز

الدول الاتابكية

نتيجة لضعف السلاجقة ،برزت في اواخر عهدهم ظاهرة قيام دول منفصلة على حسابهم ،دارت في فلك دولة الخلافة العباسية ،عرفت بالدول الاتابكية ،وهي ذات اصول تركية .

نشأ الاتابكة في البلاط السلجوقي نتيجة للنظام الذي استحدثه السلاجقة القائم على شراء المماليك الاتراك وادخالهم في خدمة القصور السلطانية وبخاصة فيما يتعلق بتربية ابنائهم ،بالاضافة الى تولي الوظائف العامة .وترقّى هؤلاء في الوظائف الادارية والعسكرية حتى وصلوا الى المناصب القيادية ،واتخذوا من نشوب النزاعات داخل البيت السلجوقي ،بعد وفاة السلطان ملكشاه ،فرصة لفرض سيطرتهم على المناطق التي تحت حكمهم ،وتسابقوا في توسيع رقعتها كل على حساب الاخر ،وبذلك نشأنزاع اتابكي داخلي سار في خط مواز للنزاع السلجوقي الداخلي ، من هذه الاتابكيات :كيفا ، ماردين ،دمشق ،الموصل ،دانشمند ،الجزيرة ،اذربيجان وفارس .

والواقع انه لن يكون لهذه الاتابكيات الا دور متواضع في التاريخ لولا ان بعضها قدّر له ان يؤدي دورا مميزا في جهاد الصليبيين ، مثل اتابكية الموصل وحلب .

الشرق العربي في مواجهة الصليبيين :

غزت الشرق العربي الاسلامي في اواخر القرن الحادي عشر الميلادي جموع اوربية لاتينية عرفت بالصليبيين ،فتنافست مع امراء الاتراك واتابكتهم في تجزئة بعض اطراف الخلافة ،وطبعت المنطقة بطابع خاص طيلة قرنين من الزمن .

واذا كان لنا ان نذكر بأيجاز طبيعة هذه الحركة الصليبية ودوافعها ،نستطيع ان نقول انها في حقيقة امرها استمرار للصراع الطويل الذي قام منذ العصور القديمة بين

الشرق والغرب ،واتخذ في كل عصر شكلا معينا يتلائم ومقتضيات الظروف وان اتحد في الهدف والغاية .

درج المؤرخون على الاهتمام بثمان حملات صليبية ،اربع منها اتجهت نحو الاراضي المقدسة في فلسطين وهي الاولى والثانية والثالثة والسادسة ،واثنان الى مصر وهما الخامسة والسابعة ،وواحدة ضد القسطنطينية وهي الرابعة ،اما الثامنة فقد نزلت في شمالي افريقية .

بعد اعلان مولد الحركة الصليبية في كليرمونت على يد البابا اوربان الثاني نفي اواخر عام (489هـ/1095م)بدأت استعدادات التنفيذ .فخرجت الحملة الاولى من اوربا الى الشرق العربي الاسلامي ،ونجح افرادها في تأسيس اربع امارات صليبية في الرها وانطاكية وبيت المقدس وطرابلس ،واخطأالمسلمون في التقدير حين توهموا بأن الصليبيين على شاكلة الروم البيزنطيين .

استغل الصليبيون تدهور اوضاع المسلمين وانقسامهم فسعوا الى توسيع رقعة نفوذهم ،فكانت سراياهم تبلغ (آمد،ونصيبين ،ورأس العين ،واما الرقة وحران فكانتا تعيشان على الخوف من استضعاف الفرنج وهجماتهم ،وانقطعت الطرق الى دمشق الا الرحبة وبادية الشام ،فكان التجالر والمسافرون يلقون من المجازفة وركوب المفازة تعبا ومشقة ،ويخاطرون بالقرب من الاعراب ،بأموالهم وانفسهم ،ثم زاد الامر ،فجعلوا على كل بلد جاورهم خراجا واتاوة يأخذونها منهم ليكفوا ايديهم عنهم ... واما حلب فأنهم اخذوا مناصفة اعمالها ،واما باقي بلاد الشام فكان حالها اشد من حال هذه البلاد .وكان ملوك المسلمين عاجزين عن نصرة دينهم) حتى خيل للناس ولمن يرقبون تطور الاحداث في بلاد الشام ان الوضع قد صفا للصليبيين .

وظل شريط المدن الكبرى المتاخمة لبلاد الشام في ايدي المسلمين ،وتبين لهم على مر الزمن ان المنافذ البحرية التي نزل فيها الصليبيون لاتخلو من الاهمية الاقتصادية ،كما ادركوا ان هؤلاء الدخلاء لايرغبون في الاندماج داخل البيئة المحلية ،وانهم يعاودون القتال بين الحين والآخر ،ولم يمارسوا مطلقا سياسة التسامح .

نتيجة لذلك اخذت فكرة المقاومة والجهاد تبعث من جديد ،واتسع انتشارها بين عامة المسلمين الذين تألموا مما يشاهدون حولهم من فتور وانقسام سياسي ،يحول دون النضال ضد الصليبيين .ومن البديهي الا يستطيع المسلمون في بلاد الشام مكافحة الصليبيين دون اشراك المسلمين في منطقة الجزيرة والموصل ،وهي غنية بالرجال والموارد .وشيئا فشيئا انطلقت فكرة الجهاد من الموصل وحلب ،ثم دمشق ،وغدت الظروف السياسية والعسكرية تحتم ظهور امير قوي يتمكن من القضاء على تنازع

الامراء المحليين ويوحد اماراتهم في جبهة اسلامية واحدة ،ثم يتصدى للصليبيين ،وقد تيسر لاتابكة الموصل ان يقوموا بهذا الدور .

المصادر:

1ـــ ابن الأثير , الكامل في التاريخ

2ـــ طقوش , التاريخ الاسلامي الوجيز

الدولة الزنكية :

انطلقت اسرة ال زنكي بقيادة عماد الدين ،من الموصل ثم حلب ودمشق ،في الربع الثاني من القرن الثاني عشر الميلادي .فقد ولاه السلطان السلجوقي محمد في عام (521ه/1127م) الموصل والجزيرة ومايفتحه من بلاد الشام .

كان عماد الدين زنكي في بداية حياته اتابكا ،ايمؤدبا ،للاميرين السلجوقيين الب ارسلان وفروخشاه ،واتصف بأنه جندي بارع وسياسي لبق ،واداري ممتاز ،فأستفاد من هذه الصفات خلال ممارسته الحكم .وبعد ان ثبت اقدامه في الجزيرة وشمالي بلاد الشام بضم حلب ،ووحد بعض اجزاء العالم الاسلامي ،هاجم امارة الرها الصليبية بفعل مجاورتها لامارة الموصل ،ونجح في فتحها ،واستعادها من الصليبيين في عام(539ه/1144م) محققا بذلك اهم انجازاته ،وعدّ هذا الفتح نصرا كبيرا للأسلام . وجرى تطهير الطرق الممتدة بين الموصل وحلب من الوجود الصليبي ،وغير هذا الفتح موازين القوى في منطقة الشرق العربي الاسلامي ،ودفع المسلمين الى محاولة استعادة اراضيهم بعدما لمسوا ضعف الكيان الصليبي .

شكل هذا الفتح صدمة كبيرة للعالم النصراني الغربي .ثم حدث ان قتل عماد الدين زنكي على يد احد غلمانه في عام (541ه/1146م) وهو يحاصر قلعة جعبر الواقعة على الضفة اليسرى لنهر الفرات ،وكانت في حوزة العقيليين .

كان عماد الدين زنكي رؤوفا برعيته ،معنيا بمصالحهم ،كما كان محط انظار الضعفاء لينصرهم على حكامهم المتعسفين . فساد العدل في ايامه ،واطمأن الناس الى سلامتهم الشخصية.

اقتسم ابنا عماد الدين زنكي وهما :سيف الدين غازي ونور الدين محمود ،ارث والدهما ،فحكم الاول القسم الشرقي ومقره الموصل ،وحكم الثاني القسم الغربي متخذا من مدينة حلب قاعده لحكمه ،وقد ورث المشكلتين الكبيرتين اللتين صرف عماد الدين زنكي معظم ايامه في معالجتهما ،وهما قضية دمشق التي كان يحكمها البوريون المتعاونون مع الصليبيين ،والامارات اللاتينية المختلفة .

اتسم نور الدين محمود في نظر معاصريه وعند الاجيال اللاحقة ،بسمة كبرى هي حميته الدينية المتأججة التي استطاع ان يبثها بين المسلمين ،وصمم الى جانب هذه الحمية ،اعادة الوحدة الروحية للاسلام وذلك بتعزيز المدارس السنية ،واعلن ان النصر مرهون بوحدة المسلمين السياسية ،وهذا معناه عزل الامراء المتقاعسين عن الجهاد او المتعاونين مع الصليبيين .وكانت اتابكية دمشق تقف حجر عثرة امام محاولاته لتحقيق الوحدة الاسلامية .ونجح بعد عدة محاولات في ضم دمشق في عام (549ه/1154م)محققا بذلك وحدة المسلمين في بلاد الشام تحت زعامته ،وشكل ذلك أمرا بالغ الخطورة على اوضاع الصليبيين في بيت المقدس بشكل خاص .ثم التفت الى تصفية الامارات الصليبية ،بعد ان صدّ الحملة الصليبية الثانية التي قدمت الى الشرق نتيجة سقوط امارة الرها ،ففتح عدة مدن في بلاد الشام ، وحصر الصليبيين داخل المنطقة الجبلية الواقعة الى الغرب من الاردن والعاصي .

ودخل نور الدين محمود في صراع دامٍ مع امارة بيت المقدس حول مصر التي كانت تتخبط ،في هذه الاثناء في الفوضى والاضطراب بفعل التنازع على منصب الوزارة في ظل الحكام الفاطميين .وقد هدف نور الدين محمود الى تحقيق غايتين :سياسية واقتصادية ، ذلك ان ضم مصر الى بلاد الشام سيتيح لها حصار مملكة بيت المقدس من الشمال والجنوب ،وفي المقابل فأن وقوعها في ايدي ملك بيت المقدس عموري الاول من شأنه ان يحاصر بلاد الشام من الجنوب والشمال ،مما يشكل تهديدا خطيرا لحركة الوحدة الاسلامية .بالاضافة الى ذلك ،فأنه لم يغب عن تفكيره تجارة مصر الضخمة وميناء الاسكندرية الكبير وحركة التجارة العالمية التي تمر عبر هذا البلد الذي يتحكم في اقصر وافضل طرق التجارة بين الشرق والغرب

برزت في هذا الصراع الاسرة الايوبية التي عملت في خدمة عماد الدين زنكي وابنه نور الدين محمود .

المصادر:

1ـــ ابن الأثير , الكامل في التاريخ

2ـــ طقوش , التاريخ الاسلامي الوجيز

الدولة الايوبية :

الايوبية هي عشيرة كردية ،قدر لها ان تبلغ من القوة مامكنها من اداء دور مهم في الصراع الاسلامي – الصليبي في المشرق العربي على يد اشهر رجالها صلاح الدين

الايوبي ،وقد صحب عمه اسد الدين شيركوه في حملاته على مصر ،وكان نور الدين محمود قد ارسله اليها لضمها الى الدولة الزنكية .

نجح اسد الدين شيركوه في السيطرة على مصر وتولى وزارتها ،وخلفه صلاح الدين بعد وفاته ،فقضى على الدولة الفاطمية بناء على الحاح نور الدين محمود ،وقطع الخطبة للعاضد الفاطمي عام (567ه/1171م) واقامها للخليفةالعباسي المستضيء .

كان صلاح الدين الايوبي ذا نزعة استقلالية ، فأراد ان ينفرد بحكم مصر ،مما ادخله في حالة من الجفاء مع نور الدين محمود الذي عدّه نائبا عنه في حكم مصر .

توفي نور الدين محمود في سنة (569ه/1174) وخلفه ابنه الملك الصالح اسماعيل ،وكان قاصرا ،فخشي صلاح الدين ان تؤول الامور الى الوصي عليه ،وراى انه احق بالوصية ،لذلك خرج الى بلاد الشام لضمها الى مصر منتهجا سياسة عماد الدين زنكي، ونور الدين محمود ،في توحيد العالم الاسلامي ،والتصدي للصليبيين بهدف اخراجهم من المنطقة ،ونجح في تحقيق الشق الاول من خطته ،بعد وفاة الصالح اسماعيل في عام (577ه/1181م) واتجه الى تحقيق الشق الثاني .

الايوبيون والصليبيون :

عرف الغرب الاوربي شخصية صلاح الدين معرفة جيدة بعد ان اتاخت الحملة الصليبية الثالثة لصلاح الدين ان يتقابل مع الملك الفرنسي فيليب اوغست ،والملك الانكليزي ريتشارد قلب الاسد .ولعل شخصية صلاح الدين كانت اكثر جاذبية من شخصية نور الدين محمود ،حتى انها حجبتها احيانا عن الاجيال اللاحقة ،الا ان الرجلين انتهجا سياسة متشابهة ،بل ان صلاح الدين هو الذي اقتدى بنور الدين محمود وذهب الى ابعد مما ذهب اليه .

كان الصليبيون يعتدون بأستمرار على مناطق الحدود الاسلامية في بلاد الشام،فحاول صلاح الدين ان يوقف تقدمهم في فلسطين ،لكنه مني بهزيمة قرب تل الجزر الى الجنوب الشرقي من الرملة في عام (573ه/1177م) ولم يستطع ان يثأر لنفسه الابعد سنتين ،اذ انتصر على الملك بلدوين الرابع في معركة قرب تل القاضي في سهل مرجعيون بين نهر الليطاني والمجرى الاعلى لنهر الاردن في(شهر ذي الحجة عام 574ه /ايار 1179م).

لم يسع الملك بلدوين الرابع ،نتيجة انتصارات صلاح الدين المتلاحقة سوى ان يطلب عقد هدنة لمدة سنتين ،فوافق صلاح الدين على ذلك في عام (575ه/1180م).

كان لزاما على مملكة بيت المقدس التي كانت تمر في وضع حرج ،نتيجة ما وقع من شجار بين صغار الامراء الصليبيين ،ان تحافظ على الهدنة ،غير ان حاكم الكرك لم يكن بوسعه ان يفهم كل سياسة تتعارض مع رغباته ،وساءه ان يرى القوافل التجارية الاسلامية ان تسير مطمئنة قرب اقطاعه ،فراح يهاجمها ناقضا بذلك شروط الهدنة،وتمادى في تصرفاته حتى انه قام في عام (578ه/1182م) بتنفيذ مشروع لمهاجمة مكة والمدينة .

لم يكن بأستطاعة صلاح الدين ان يغض الطرف عن هذا كله ،فعزم في اوائل عام (583ه/1187م)ان يهاجم المعتدين .واستطاع حاكم الكرك واصحابه ان يقنعوا ملك بيت المقدس بحشد الجيش الملكي في اقليم ماوراء نهر الاردن للانقضاض على صلاح الدين عند قدومه من مصر .

والتقى الطرفان في سهل حطين قرب طبرية ،وهناك انزل صلاح الدين بالجيوش الصليبية هزيمة قاضية في(شهر ربيع الاخر عام 583ه/تموز عام 1187م).وأسر حاكم بيت المقدس ،وحاكم الكرك ،وكثيرا من الامراء الصليبين،ومن ثم تساقطت حصون الصليبيين في ايدي المسلمين بعد ا ناخلتها حامياتها ،ووصل صلاح الدين وجنوده الى ابواب بيت المقدس التي اضطرت الى الاستسلام في شهر رجب /ايلول من نفس السنة ،ثم تابع عمله الجهادي للقضاء على آخر آثار الحكم الصليبي في المشرق العربي الاسلامي ،لكن صمدت صور وطرابلس في وجهه .

احيى سقوط بيت المقدس ،في اوربا الغربية ،فكرة ارسال حملة الى الشرق ،فحمل الصليب كل من ملك المانيا ،وملك فرنسا ،وملك انكلترا ،لكن هذه الحملة الصليبية الثالثة لم تحقق انجازات تذكر ،وانتهى الامر بأتفاق صلح الرملة الذي عقد في عام (588ه/1192م) احتفظ صلاح الدين بموجبه بفتوحه حتى اللد والرملة وعسقلان ،وسمح للنصارى بزيارة القدس حجاجا عزلا من السلاح ،ولم يترك للصليبيين سوى بعض التحصينات الساحلية .

لم ينعم صلاح الدين بهذا الصلح ،فقد توفي صلاح الدين بعد بضعة اشهر (في صفر عام 589ه/شباط عام 1193م) وكان قد قسم دولته قبل وفاته بين اولاده ،واخيه العادل .ولم تكد تنقضي سنة واحدة على وفاته حتى دب الخلاف بين هؤلاء الورثة ،واستطاع اخوه القضاء على اولاده واحدا بعد اخر .وقدّر لذرية صلاح الدين في حلب البقاء حتى الغزو المغولي في عام (658ه/1260م).

ونجح الملك العادل في توحيد معظم اجزاء الارث الايوبي ،واستطاع الايوبيون على الرغم من هذه القلاقل ان يحافظوا على البلاد في حوزتهم من عدوان الصليبيين

،وينتهجوا معهم سياسة سلمية .فقد اظهرت الحملات الصليبية اللاحقة قوة مقاومة اللاتين ،كذلك تأثر السكان بفوائد العلاقات التجارية السلمية .ولئن نقض الصلح احيانا ،فقد كان بمبادرة من الغرب الاوربي الذي اراد ان ينتزع بيت المقدس من المسلمين .

ثم توالت الحملات الصليبية على مصر فكانت الحملة الصليبية الخامسة سنة (615ه/1218م) وحملة اخرى في عام(647ه/1249م) .حتى زوال الدولة الايوبية في مصر ،سيطر بعدها المماليك .

المصادر:

1ـــ ابن الاثير، الكامل في التاريخ

2ـــ ابو شامة , الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية

3ـــ طقوش , تاريخ الاسلام الوجيز

دويلات الطوائف

بسقوط الخلافة الأموية سنة 422 هـ فقدت الأندلس وحدتها السياسية وانقسمت البلاد إلى دويلات صغيرة مستقلة أطلق عليها المؤرخون اسم " دويلات الطوائف " ويعرف رؤسائها بملوك الطوائف، وهم ما بين زعيم قبيلة ، أو صاحب نفوذ، أو حاكم لإحدى الكور أو وزير سابق أو شيخ قضاء ، وقد استغل هؤلاء حالة البلاد السياسية فبسطوا نفوذهم على المناطق التي تواليهم، وعملوا جميعاً على تأسيس هذه الكيانات والحفاظ عليها في أسرهم ، وانقسمت الأندلس من الناحية الإقليمية إلى عدة مناطق قامت فيها أهم دويلات الطوائف في البلاد وهي:

- **قرطبة وأحوازها من المدن والمناطق الوسطى.**
- **إشبيلية وما يلحق بها من مناطق غرب الأندلس.**
- **بطليوس.**
- **غرناطة.**
- **بلنسية وما يلحق بها من المناطق شرق الأندلس.**
- **سرقسطة أو الثغر الأعلى.**
- **طليطلة أو الثغر الأوسط.**
- **دانية وجزر البليار.**

وتضم كل منطقة من المناطق المشار إليها إمارة أو أكثر من إمارات الطوائف وتتباين من ناحية المساحة وعدد السكان والأهمية العسكرية ، واستمرت هذه الدويلات حتى دخول المرابطين الأندلس الذين عملوا جاهدين على إعادة الوحدة السياسية إلى البلاد عن طريق إنهاء هذه الكيانات الواحدة تلو الآخر كما سنفصل من خلال عرض أحوال هذه الدويلات.

1 - دويلة بني جهور في قرطبة:

خلع أهل قرطبة الخليفة هشام الثالث الملقب المعتد بالله في ذى الحجة سنة 422 هـ، وألغوا الخلافة الأموية بعد أن يئسوا من صلاح أمرها ، واجتمعوا على تنصيب الوزير أبي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيساً لحكومة قرطبة فاختار بدوره مجلساً عد بمثابة السلطة التشريعية العليا في المدينة. وقد استطاع ابن جهور من خلال هذا المجلس أن يضع الجميع زعماء وأفراداً أمام مسؤولياتهم وواجباتهم، فحمدت سياسته واستقرت الأمور وتجنبت حكومته منافسة المنافسين وتمرد الطامعين ، حتى عرفت حكومته هذه بدولة الجماعة ، وأصبحت قرطبة في عهده حرماً آمناً يأوي إليه أمراء وزعماء الطوائف فيجدون فيه الملاذ الأمين.

واستمرت حكومة الجماعة هذه برئاسة ابن جهور تدير أمر قرطبة وما يتبعها قرابة اثنتي عشرة سنة، سادت فيها السكينة والأمن وبدأت الحياة الإقتصادية في الانتعاش بعد أن أمن التجار على أموالهم نتيجة القسوة التي فرضت على المتلاعبين بأمن المنطقة.

وكان لابن جهور موقف خاص من أسطورة ظهور الخليفة هشام المؤيد بالله عندما أعلنها ابن عباد صاحب إشبيلية " ذلك أن ابن عباد حينما أحس بخطورة مطامع بني حمود في رئاسة جنوبي الأندلس، واتشاحهم بثوب الخلافة وحينما أرهقه يحيى بن علي بن حمود (المعتلي) بغاراته المتوالية، رأى أن يدحض دعاوى أولئك الحموديين، فأعلن في سنة 427 هـ أن الخليفة هشام المؤيد حي لم يمت، وأظهر بالفعل شخصاً يشبه هشاماً كل الشبه، وبايعه بالخلافة ودعا الناس للدخول في طاعته ، وبعث بذلك إلى رؤساء الأندلس، فاستجاب بعضهم للدعوة، وكان منهم عبد العزيز بن أبي عامر صاحب بلنسية، ومجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية، والوزير أبو الحزم بن جهور رئيس قرطبة، وعقدت البيعة في قرطبة بالفعل لهشام المؤيد، والظاهر أن جهور لم يكن يؤمن حقاً بصحة هذه الدعوى ولكنه استجاب لها، وأقرها لنفس البواعث التي حملت ابن عباد على انتحالها، وهو العمل على دفع خطر الحموديين ".

ظل ابن جهور على حكم قرطبة حتى وفاته سنة 435 هـ فصار الأمر إلى ابنه أبي الوليد محمد بن جهور الذي اعتمد سياسة أبيه في تدبير أمور قرطبة ، ولكن أبا الوليد اضطر نتيجة ظروف عديدة إلى الابتعاد عن ممارسة السلطات وقدم ولده عبد الملك، ولكن المذكور لم يكن على مستوى من القدرة والسياسة بحيث يتمكن من إدارة حكومة قرطبة بالمستوى المطلوب، فأهمل شؤون الدولة وسعى إلى الألقاب السلطانية وفوض إلى وزير أبيه إبراهيم بن يحيى بن السقاء مقاليد الأمور وعلى الرغم من حسن تدبير الأخير إلا أنه أعدم سنة 455 هـ ، وعادت الأمور المضطربة مرة أخرى وزادتها سوءاً منافسة عبد الرحمن لأخيه عبد الملك في السلطة ومحاولته السيطرة عليها دون أخيه، مما اضطر أبا الوليد إلى التدخل وتقسيم السلطات بين ولديه، ففوض أمر القوات المسلحة إلى عبد الملك وفوض الأمور المالية لعبد الرحمن. ولكن هذا التقسيم لم يكن ليرضي عبد الملك فقبض على أخيه عبد الرحمن وفرض عليه الإقامة الجبرية ،

مما ولد نوعاً من الاستياء وعدم الإرتياح لسوء الأوضاع في الداخل وتلت ذلك اضطرابات شجعت صاحب طليطلة على التعرض لحصن المدور والاستيلاء عليه ثم الزحف إلى قرطبة للإستيلاء عليها، فاضطر عبد الملك إلى الاستعانة ببني عباد وكانت تجمعه وإياهم علاقات صداقة ومودة، ولكن بني عباد الذين استطاعوا تخليص قرطبة من حكام طليطلة، عادوا واستولوا عليها سنة 462 هـ وقبضوا على بني جهور ونفوهم إلى جزيرة شلطيش ، وبذلك ينتهي حكم بني جهور لقرطبة بعد أن استمر قرابة الأربعين سنة.

المصادر:

1ــ السامرائي واخرون, تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس.

2ــ عنان , دولة الاسلام في الاندلس.

دويلة اشبيلية (بنو عباد):

يرجع أصل بني عباد إلى المنذر بن ماء السماء، وجدهم عطاف بن نعيم هو الداخل إلى الأندلس في طالعة بلج بن بشير القشيري وكان بنو عباد من الأسر التي لها في تاريخ العرب بالأندلس نصيب وافر فعميد أسرتهم إسماعيل بن عباد تقلب في مناصب الدولة سنين عديدة آخرها قضاء إشبيلية، وقد تمكن من السيطرة على الأمور في المدينة إبان الفتنة التي أصابت البلاد، تلك السيطرة التي ارتضاها عموم أهل إشبيلية بفضل السياسة الحكيمة التي سار عليها حتى وصف بأنه رجل الغرب المتصل الرئاسة وقت الجماعة، ووقت الفتنة.

إن سياسة ابن عباد الرصينة جعلت له مكاناً مرموقاً عند بني حمود الذين كان سلطانهم يتردد بين العاصمة قرطبة وبين مدينة إشبيلية، فعندما اعتزل إسماعيل بن عباد مناصبه نتيجة كبر سنه، قدم القاسم بن حمود الملقب بالمستعلي أبا القاسم محمد بن إسماعيل بن عباد وعيَّنه في منصب القضاء، غير أن الظروف التي مرت بها الدولة الحمودية، وسلبيات الصراع بين أفراد العائلة، جعلت أهل إشبيلية يميلون إلى الاستقلال في إدارة مدينتهم، لذا فعندما غادر المستعلي إشبيلية ليتولى منصب الخلافة بقرطبة قرر الإشبيليون إعلان استقلالهم، وخولوا إدارة المدينة مجلساً مكوناً من وجهائها وعلى رأسهم محمد بن عباد ومعه أبو محمد بن مريم والعالم المشهور أبو عبد الله الزبيدي ، وبدأ ابن عباد يمارس سلطاته باتجاه الاستقلال التام، فمنع المستعلي من

دخول مدينة إشبيلية عندما طرده أهل قرطبة ، وعندما تعرضت إشبيلية لمحاصرة قوات يحيى بن حمود سنة 414 هـ، برز ابن عباد بوصفه مفاوضاً ذكياً، فقد تمكن من رد قوات ابن حمود دون أن يعرض مركزه ومدينته إلى أي ضعف أو خطر، فقد وعد ابن عباد الخليفة الحمودي بالدعوة له في الخطبة وتأدية مبلغ من المال لإثبات ولائه له.

وكانت حركته هذه ضرورية قصد بها إبعاد خطر قوات الحموديين عن المدينة وقد استخلص مرسوماً مهماً من الخليفة الحمودي بإقراره رئيساً ونائباً عنه في مدينة إشبيلية ، ومنذ هذا التاريخ بدأ ابن عباد يسعى إلى تأسيس ملك خاص بأسرته، ويعمل على تجميع قوات مخلصة لأهدافه ، جعلها أداة ضاربة لتقليم نفوذ ملوك الطوائف المجاورين لإشبيلية، والسعي إلى ضم ما يمكن ضمه من حصون ومدن تلك الدويلات ولكي يبعد ابن عباد خطر الحموديين عن مناطق نفوذه نهائياً ويتحلل من تبعيته (الإسمية) لهم ، وليثبت شرعيته في الحكم ويسوغ الأعمال التوسعية التي قام بها، أعلن في سنة 426 هـ عن ظهور هشام المؤيد ، وإعلانه خليفة في إشبيلية، ودعا بقية حكام دويلات الطوائف للإعتراف به ، (وقد سبقت الإشارة إلى اعتراف بني جهور بالخليفة هشام لأسباب ذكرت آنفاً). وعلى هذا الأساس يعد محمد بن عباد مؤسس دولة بني عباد الحقيقي " ومنشئ ملكهم ورسوم مملكتهم، وعلى يده اتخذ سلطان بني عباد ألويته الملوكية المدعمة بالقوى العسكرية، وإن لم يصل بعد إلى غايته من الروعة والفخامة، وأصبح ملوكية وراثية راسخة، بعد أن كان يتخذ فقط صورة الزعامة، والرئاسة القبلية ". وبوفاة محمد بن عباد سنة 433 هـ آل الأمر من بعده إلى ولده أبي عمرو عباد بن محمد الملقب المعتضد، وقد بدأ عصره بإجراءات قاسية أصابت العديد من الشخصيات البارزة ومنهم أعضاء مجلس الرئاسة

الذي شكل في عالقوة في تحقيق أهدافه في الداخل والخارج، فكان وزرائه وكبار رجال دولته يخشونه كما يخشاه منافسوه من حكام دويلات الطوائف، وقد سرد لنا المؤرخون أسماء الشخصيات التي نكبت في عهده ومن بينهم ولده إسماعيل ، والعالم عمر الهوزني الذي اشتهر بعلومه وطول باعه وهو ممن له في تاريخ الفكر العلمي الأندلسي نصيب وافر.

وكانت سياسته الخارجية تقوم على ضرب دويلات الطوائف متى ما وجد لذلك فرصة سانحة تحقق له المزيد من ضم الأراضي إلى دويلة إشبيلية، فقد تمكن من السيطرة على معظم مدن الغرب ومنها جزيرة شلطيش سنة 443 هـ ومدينة شنتمرية في نفس السنة ومدينة لبلة سنة 445 هـ، وشلب سنة 455 هـ، وحاول مرات عديدة الاستيلاء على بطليوس ابتداءً من سنة 442 هـ إلا أنه لم يتمكن منها، فاكتفى بالسيطرة على بعض الحصون المهمة التابعة لها.

وهكذا استطاع ابن عباد في نحو عشرين سنة أن يقضي على سائر الدويلات الصغيرة القائمة في غرب الأندلس، وأصبحت دولته تشمل سائر الأراضي الممتدة من نهر الوادي الكبير غرباً حتى المحيط الأطلسي عدا رقعة تقع شرق هذا الوادي، قرر ابن عباد بعد ذلك استخلاصها من حكامها حتى يؤمن دولته من هذه الناحية، ويمتلك حرية الحركة في اتجاه الشمال والشرق. فاستولى على رنده سنة 457 هـ وعلى أركش وشذونة وما يلحق بها، وموروز سنة 458 هـ، وقرمونة سنة 459 هـ وكان ابن عباد قد استولى على باب الأندلس من الجنوب وهو الجزيرة الخضراء سنة 446 هـ وقضى على نفوذ الحموديين فيها.

وهكذا أصبحت دولة بني عباد " تضم من أراضي الأندلس القديمة رقعة شاسعة تشمل المثلث الجنوبي من شبه الجزيرة، وأرض الفرنتيرة شمالاً حتى شواطئ الوادي الكبير، ثم تمتد بعد ذلك من عند منحنى الوادي الكبير، غرباً حتى جنوب البرتغال

هد والده، واعتمدوشاطئ المحيط الأطلسي، وبذلك ضمت أعظم ممالك الطوائف، وأغناها من حيث الموارد الطبيعية وأقواها من حيث الطاقة الحربية ولم يكن يغشي هذه المكانة التي بلغتها إشبيلية من الفخامة والقوة والغنى سوى ناحية قاتمة واحدة. وهي موقفها من ملك قشتالة فرناندو الأول، ذلك أن هذا الملك القوي، كان يطمح إلى أن يبسط سيادته على إسبانيا كلها، وكان يرى في ممالك الطوائف، وما يسودها من الخلاف والتفرق، فرائس هينة، ففي سنة 444 هـ/1062 م خرج من قشتالة بجيش كبير من الفرسان والرماة، وغزا مملكة طليطلة، وعاث فيها وخرب سهولها وزروعها، حتى اضطر ملكها المأمون بن ذي النون، أن يطلب الصلح وأن يتعهد بدفع الجزية، وفي العام التالى 455 هـ عاد فغزا أراضي مملكتي بطليوس وإشبيلية،

" واضطر المعتضد بن عباد، أن يحذو حذو المأمون في طلب الصلح والتعهد بدفع الجزية، وقصد المعتضد بنفسه إلى معسكر ملك قشتالة، وقدم إليه عهوده شخصياً ولما توفي فرناندو بعد ذلك بثلاثة أعوام وخلفه ولده سانشو في حكم مملكة قشتالة، كان المعتضد يؤدي إليه الجزية أسوة بأبيه واستمر في تأديتها حتى وفاته ". وعمله يعد سقطة من السقطات الكبيرة التي درج عليها حكام دول الطوائف، الذين سعوا إلى محالفة ورضاء أمراء وملوك إسبانيا الشمالية، وتفرغوا إلى نزاعاتهم الدموية ليزيدوا تاريخ الأمة في الأندلس إرهاقاً وضعفاً.

توفي المعتضد سنة 461 هـ/و 1069م وخلفه ولده: أبو القاسم محمد بن عباد المعروف بالمعتمد ، وفي عهده تم ضم قرطبة إلى دولة إشبيلية سنة 462 هـ ، ودخل المعتمد في صراع عنيف مع دولة غرناطة، واضطرت ظروف النزاع كلا الطرفين إلى الاستعانة بملوك وأمراء الممالك الإسبانية الشمالية لقاء مبالغ كبيرة من الأموال، ولقاء تنازلات إقليمية، ففي الوقت الذي حاول فيه عبد الله بن بلقين حاكم غرناطة التحالف مع ملك قشتالة ألفونسو السادس، نجد المعتمد يسلك المسلك نفسه ويرسل وزيره أبا بكر بن عمار إلى ألفونسو طالباً المساعدة مقابل مبلغ كبير من المال ويمنيه بغزو غرناطة واقتسامها بحيث تكون للمعتمد قصبة المدينة ولألفونسو القلعة الحمراء بما تحويه من نفائس وذخائر. وكانت نتيجة هذا الحلف تعرض مدينة غرناطة إلى هجمات مدمرة قام بها ألفونسو السادس، وجرأت قواته على اقتراف المزيد من أعمال التخريب

في العديد من ضواحي المدن الأندلسية. وقام بمهاجمة طليطلة في محرم سنة 478 هـ/ 1085 م فدخلها غازياً دون أن تحرك دول الطوائف ساكناً.

إن سقوط طليطلة بيد ألفونسو السادس وتطلعاته لغزو بقية المدن الأخرى دفعت العديد من حكام دول الطوائف وعلى رأسهم ابن عباد إلى الاستعانة بالمرابطين لنجدتهم، ومع تحفظ بعض الحكام على قرار الاستدعاء فإن المعتمد عزم على تنفيذ قراره بقوله: " رعي الجمال خير من رعي الخنازير " ، وتعهد بالتنازل عن الجزيرة الخضراء للمرابطين الذين نزلوها سنة 479 هـ/1086 م ومع بداية هذا النزول بدأ المرابطون العمل على مقاومة الغزو الخارجي والانتصار عليه في أكثر من موقعة، وإعادة الوحدة السياسية إلى البلاد والقضاء على دول الطوائف الواحدة تلو الأخرى ومنها دولة بني عباد التي سقطت في سنة 484 هـ/1091 م.

المصادر:

1ــ السامرائي واخرون, تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس.

2ــ عنان , دولة الاسلام في الاندلس.

السمات العامة لعصر دويلات الطوائف

ومن خلال العرض السابق لدويلات الطوائف القائمة في الأندلس، يمكن إجمال أهم السمات الأساسية المشتركة لهذا العصر بما يأتي

1- انفراط عرى الوحدة الوطنية، وتحول البلاد إلى وحدات أو كيانات صغيرة تسمى بدويلات الطوائف، تتميز كل منها بكيان خاص قائم على مبدأ الزعامة لأسرة من الأسر. والاعتماد على قوة عسكرية لتنفيذ أهدافها وإن كانت تلك القوة تتكون في معظم الأحيان من خليط من العناصر الموالية لهذه الأسرة أو تلك. ونظام الحكم قائم على أساس مبدأ الوراثة، وغالباً ما كان هذا النظام سبباً في حدوث النزاع بين أفراد الأسرة الواحدة، لا سيما عندما تقسم أملاك الدويلة بين أكثر من واحد من أبناء الحاكم.

2 - توجه جميع الدويلات القائمة نحو العمل لمصالحها الذاتية، دون أي حساب للقضايا القومية، أو حتى مصلحة الجماعة المنضوية تحت لوائها، وكان حكام هذه الدويلات ضعافاً في وطنيتهم ودينهم، ولم يولوا الكرامة الشخصية أي اهتمام فعندما سقطت بربشتر، وطليطلة لم نجد من بين حكام هذه الدويلات من سارع إلى إنجادها، بل إن المقتدر بن هود لم يحرك ساكناً عندما سقطت بربشتر في يد النورمانديين لكونها من أملاك أخيه يوسف، وكان " بينهما نزاع شخصي " حتى أجبر أخيراً أمام غضبة وثورة الشعب إلى إرسال قواته وتطهير المدينة من دنس النورمانديين. أما طليطلة فسقوطها هز الأندلس من أقصاها إلى أقصاها، ولم نجد من أولئك الحكام إلا المواقف المتخاذلة والمشينة.

3 - الصراع العنيف بين هذه الدويلات، لكسب ما يمكن كسبه من القلاع والحصون والمدن، وقد فقدت الأندلس جراء ذلك الصراع الألوف من أبنائها، وتعرض كثير من المناطق إلى الخراب والدمار، وفقد الأمن، وساءت الأحوال الإقتصادية نتيجة الاضطراب والفوضى التي كانت تصيب المناطق المتنازع عليها.

4 - دخول جميع دويلات الطوائف بشكل أو بآخر في سلسلة من المحالفات مع أمراء وملوك إسبانيا الشمالية أعداء الأندلس التقليديين، وأصبحت تلك المحالفات جزءًا من السياسة الخارجية لدويلات الطوائف، وغاية تلك المحالفات اقتسام أملاك الدويلات

الأخرى، حتى باتت المحالفات تشكل خطراً كبيراً على معظم الدويلات مادياً، نتيجة دفع الأموال الكبيرة لتلك الدويلات مقابل مساعدات معينة، ومعنوياً لتدخلها في سياسة الدويلات القائمة في الأندلس حتى فقدت أكثر الدويلات استقلالها الذاتي، بل وأصبح

رؤساؤها يرسمون سياساتهم العدائية للنيل من الدويلات الأخرى، وكان ذلك هدف سعت إليه الممالك الإسبانية الشمالية ومنذ البداية لإضعاف كل طرف من الطرفين المتنازعين.

5 - حرص كافة حكام الطوائف على الإرتسام بسمات الملك والتلقب بشتى الألقاب الملوكية والسلطانية وزاد بعضهم أن اصطنع لدويلته وحكمه الشرعية والخلفية اللازمة لتسويغ أعماله وفرض سلطانه على الآخرين، عن طريق تنصيب الخلفاء بطريقة تثير السخرية والاستهجان، كما فعل بنو عباد عندما نصبوا خلف الحصري وادعوا أنه الخليفة هشام المؤيد، وكاتبوا في ذلك حكام الطوائف يدعونهم لمبايعته والدخول في طاعته. أو كما فعل صاحب دانية والجزائر عندما نصب المعيطي خليفة وهو شخص من العامة فبايعوه مقتفين بذلك دعوى بني عباد.وبعد:

فإذا كان ثمة من حسنة لهذه الدويلات وسمة إيجابية تذكر لها فهي توجهاتها العلمية " فقد كانت في الفترات القليلة التي تجانب فيها الحرب الأهلية تتمتع بقسط لا بأس به من الرخاء وتغمرها الحركة والنشاط، وكان ملوك الطوائف بالرغم من طغيانهم المطبق ... من حماة العلوم والآداب وإنها لظاهرة من أبرز ظواهر عصر الطوائف، أن يكون معظم الملوك والرؤساء من أكابر الأدباء والشعراء والعلماء وأن تكون قصورهم منتديات زاهرة، ومجامع حقة للعلوم والآداب والفنون، وأن يحفل هذا العصر بجمهرة كبيرة من العلماء والكتاب والشعراء الممتازين، ومنهم بعض قادة الفكر الأندلسي والفكر الإسلامي بصفة عامة "

المصادر:

1ــ السامرائي واخرون, تاريخ العرب وحضارتهم في الاندلس.

2ــ عنان , دولة الاسلام في الاندلس.

الاسطول البحري في عهد عبدالرحمن الناصر:

اهتم عبد الرحمن الناصر اميرقرطبة بالاساطيل البحرية فعمل على انشاء اسطول قوي يدفع به الاخطار الخارجية وكان الاسطول مكون من(200مركب) ويعتبر الناصر

المؤسس الحقيقي للاسطول الاندلسي فقد نشطت حركة الانشاء وصناعة السفن فأنشأ عدد كبير من دور الصناعة في مدن الاندلس واستخدم اشجار الصنوبر التي تنبت في طرطوشة لجودتها وصلاحيتها للانشاء وبادر سنة 314هـ بالاستيلاء على طنجة ومليلة وفي سنة 319هـ استولى على سبتة وبذلك اصبح يمتلك معبري الاندلس وقد دخلت هذه المراكب اثناء الصراع البحري المسلح الذي جرى بين الفاطميين بالمغرب والامويين في الاندلس وانتهى بأنتصار الاسطول الاندلسي . وكذلك انشأ الناصر مدينة المرية وتمصيرها سنة 344هـ وفيها تحل مراكب التجار وفيها مرفأ ومرسى للسفن والمراكب لذلك وبأزدهار المرية اضمحل دور بجاية واعتبرت المرية اهم موانىء الاندلس بالقرن الرابع الهجري واشهر مراسيها واعمرها وخليجها العميق الفسيح يضم معظم وحدات الاسطول الاندلسي فكانت المرية مرفأ وفيها دار الصناعة تقوم بأنشاء السفن والعدة والالات اللازمة للسفن وكان يحصن دار الصناعة برج يقوم على بابها مهمته دعم اسوارها والدفاع عنها في حال اقتحام الاعداء لثغر المرية .ويرجع سر اختيار الخليفة الناصر لهذه المدينة اعتبرت قاعدة للحط والاقلاع لحصانتها من جهة البر ،والحصانة والمنعة هوشرط يجب توفره في المدن السا حلية وكذلك تقع بالقرب من النهر وايضا كان خليجها شديد الاتساع والعمق بحيث يمكنه ضم عدد كبير من السفن ،اضافة الى انه يمتاز بهدوء مياهه وقلة امواجه .واكتسبت شهرة تجارية عالمية واعتبرت باب الشرق ومفتاح التجارة والرزق على الرغم من قلة خيراتها واعتمادها على مايجلب لها من ساحل العدوة من ميرات واقوات والسبب قي شهرتها التجارية يرجع بأعتبارها محط السفن القادمة من المشرق الاسلامي والاقطار الاوربية.

أ.م.د اسراء طارق الجبوري

دويلات اسلامية/ المرحلة الرابعة /قسم التاريخ